روايات عبير الجديدة

مارغريت روم

رجل الغابات

WWW.REWITY.COM
مرمورية

عدد ممتاز

www.rewity.com

رجل الغابات

مارغريت روم

كوروبيرا . . رجل الغابات، لا عجب، فكرت ريبيل بأن يطلق قبائل الأمازون البدائيين هذا الاسم على لويز مانشنت، انها لم تلتق شخص يشبهه ابداً . . . متحضر وبدائي في نفس الوقت.

حيث يعيش في الغابات حياة رجل بدائي تناقضها حياته المتحضرة بعيداً عن الغابات. يفهم الحياة البسيطة للشعب الهندي، وكان هذا ما لاحظته ريبيل عندما وجدت نفسها وحيدة معه في قلب مملكة الأدغال، حيث وجدته ساحراً . . ولكن مع الأيام تعلمت ريبيل بأن حبه وعشيقته الوحيدة، كانت وستبقى غابات الأمازون . . .

-١-

«لن يطول الوقت حتى نهبط، سنيوريتا، واعتقد بأن الطائرة سوف تهبط خلال خمسة عشرة دقيقة».

«كيف تستطيع التأكد».

قالت ريبيل ذلك، بينما كانت الطائرة تعبر فوق بحر من الغابات، كوحش اخضر ممل يطغى على كل حدود الأفق، وادي الأمازون أو حوض الأمازون، واحد من الأماكن القليلة التي لم تطأها قدم الإنسان والتي ما زالت مجهولة لديه، تحتوي على مناطق كثيفة لم تطأها قدم الرجل الأبيض، حيث الطرقات الوحيدة كانت الأنهار.

وحيث كان هناك اقاليم اطلق عليها اسم اقاليم غير مستكشفة على الخارطة البرازيلية، ولقرون جذبت هذه المنطقة المستكشفين كما المغناطيس، وكذلك المغامرون

بحثاً عن الأرض الخرافية المسماة الدبابلو حيث الخيول مصنوعة من الذهب والفضة وحيث الأحجار الكريمة تصطف على طول الطريق.

وبينما نظرت الى الكرسي المقابل لها، حيث والدها يجلس وفمه يفصح عن ابتسامة، في الحقيقة كان والدها نموذجاً للبروفسور النموذجي، وكان ايضاً ضحية لجنون الأمازون، كان واحد من كتيبة رجال اسرتهم هذه العشيقة، الجميلة المكتنفة بالغموض والأسرار.

«انا لست خبيراً في علم البحار، سنيوريتا» ضحك تلميذ العلوم مضيفاً «لا يهم كم من المرات قمت بهذه الرحلة، حيث ما زلت اجد نفسي مذهولاً كما تبدين انت بعد اميال من الخضرة ذاتها... لا، انها هذه» هزَّ الساعة حول معصمه وقال «ذلك يخبرني بأن وصولنا اصبح وشيكاً».

«كان لطف منك ان تتولى رحلة متعبة كهذه من اجل ان تلقانا في المطار» قال ذلك البروفسور ستورم بأبتسامة وأضاف «انا وابنتي ندين لك بالشكر، سنيور دومينيك».

«ارجوك، اسمي باولو».

حث الشاب البرازيلي البروفسور، بينما عيناه فوق وجه ريبيل.

«لا داعي للشكر... يسرني ان اكون تحت الخدمة، والى جانب ذلك...» افصح عن ابتسامة بيضاء وأضاف «لقد كنت انفذ اوامر رئيسي».

«آه، نعم لقد سمعت الكثير عن السنيور لويز مانشنت،

وكل ما سمعته كان جيداً، انني اتطلع للقاءه، اخبرني» انحنى ناحيته وأضاف «هل هو على اطلاع تام بعادات شعب الأمازون الداخلي كما يقولون؟ هل صحيح يزور ويتشاور مع قبائل صائدي الرؤوس ما قبل التاريخ؟».

«اجل، بروفسور».

اومأ باولو مؤكداً، تعابيره اصبحت جدية.

«انه يصبح كتوماً عندما يصبح هؤلاء القوم محور الحديث».

«ولكن لماذا؟».

بدا البروفسور مذهولاً وأضاف «بالتأكيد، كواحد من الرجال البيض القلائل لكي يكتسب ثقة هؤلاء المتوحشين، فأنه بالتأكيد بالواجب مرتبط لكي يتشارك معرفته الخاصة مع باقي العالم؟».

«لا استطيع التأكيد... انه رجل يصعب سبر اغواره... انا لا اقصد اية اهانة» اكد لهم مضيفاً.

«يستطيع ان يكون عابساً، حتى الاستبداد، وهو لا يظهر اهتمام بكسب الثقة، ولكننا نحترمه فوق كل شيء».

مد باولو يديه في اشارة استعاذة مشيراً الى انه يهمن فقط.

«السنيور كما تعرفون، انه ذو رتبة في المجلس الوطني، لباحثي الأمازون، وهي منظمة وجدت لتحمي الهنود ولتمنع المستكشفين البيض من استغلال الحدود الغنية للغابات».

«لتحمي صائدي الرؤوس من الرجال البيض؟» قالت ريبيل ذلك ثم أضافت «لا بد انها الطريقة الأخرى».

«على العكس سنيوريتا».

شرح باولو، يشجعه على ذلك اهتمامها.

«ان عدد الهنود الذين يعيشون اليوم هو فقط جزء مما كانوا عليه في بداية القرن السادس عشر عندما قدم الرجال البيض وهم يحملون الأمراض الأوروبية والتي ابادت كل القبائل، الحصبة، حالياً هو المرض الذي يغزو الأطفال هذه الأيام، وهي قاتلة بالنسبة للهنود الذين ليس لديهم شيء مضاد للجرثومة، الانفلونزا قاتلة ايضاً، في ضوء هكذا تجربة، انه من السهل تفهم معارضة السنيور القاسية لخطة الحكومة في فتح الأدغال عن طريق بناء طريق رئيسية لمساعدة وترقية التعدين والاستكشاف، انه واحد من ارستقراطينا، وفي هذه اللحظات لقد اصبح شره بعضهم يطغى على حاجات الأمة، ان رفض السنيور في سماحه للغرباء في الدخول الى قلب الأدغال هو على ما اعتقد معارضته الشخصية شد الخطة والتي هو معارض لها بشدة».

«انا خائفة في انه سوف يرفضنا ايضاً» قاطعته ريبيل مضيفة «لأن سلطة اعلى منه اجازت بعثتنا الى الداخل».

تردد باولو، ضائع في اعجابه بالفتاة، والتي ادار جمالها رأسه، وجهها الذي يشبه الوردة، وعيناها الزرقاوان مثل براعم الجاكراندا، ولكن كان تاج شعرها الاشقر الذي سحره تماماً بينما كان يتخيل شعرها المربوط منسدلاً حتى خصرها.

احمر خجلاً عندما ادرك نفسه، متذكراً الاوامر المعطاة

له، ويبطء جمع افكاره ثم استمر في حديثه.

«في هذه المنطقة ليس هناك سلطة اعلى من سلطة السنيور مانشنت... هنا كلمته هي القانون، وبالنسبة للشعب هنا، فهو معروف بإسم كوروبيرا والتي تترجم بروح الغابة، او كما يدعوه بعضهم الرجل المتوحش.

اشتعلت عينا ريبيل بشعلة زرقاء، لم تكن لتقول شيئاً، لقد علمها والدها ان تبقي عقلها مفتوحاً، ان تدرس بحرص كل ما تراه، تسمع وتختبر قبل ان تقوم بالتشخيص والدراسة لأي موضوع، بما فيهم الاشخاص ولكن في هذه اللحظة طارت نصيحة والدها، لقد حور باولو دون ادراك صورة الرجل الذي كانوا يتكلمون عنه، والذي يفترض ان يكون مضيفهم وكذلك دليلهم داخل الأمازون، كملك الأدغال الاستبدادي، رجل سمح لقوته التي يمارسها فوق هؤلاء الجهلة ان تصبح قوة وسلطة دائمة.

«ان، مديرك يبدو قاسياً... ولكن اذا كان يتوقع منا نفس القبول بقراراته التي يلبيها لأبناء هذه الأرض فأنه سوف يفاجأ تماماً».

«الآن، ريبيل...».

تكلم والدها بحدة مضيفاً.

«كم مرة علي ان احذرك بأن تضبطي لسانك؟ انت تعرفين كم يعني لي بنجاح هذه المهمة، كيف يمكن لك ان تكرهي شخص لم تلتقي به؟ كم ستبدين غبية يا عزيزتي، اذا ما كان لطيفاً، ساحراً ومقدراً، والذي لا املك اي شك بأنه سيكون كذلك، ارجوك، باولو تجاهل كلام

www.rewity.com

ابنتي، انا اكيد انها سوف تغير رأيها تماماً عندما تلتقي بالسنيور مانشنت، اليس كذلك...؟».

بدت عينا باولو وكأنهما تمرحان وقال «سوف يكون اللقاء... مثير، مع مفاجآت لكلاهما، ربما مع الكيميائيات من السهل معرفة اي عنصرين يمتزجان واي عنصران ينفجران، ولكن مع الاشخاص فهذا شيء صعب. من يستطيع معرفة اي انطباع سوف تعطيه ريبيل لكوروبيرا؟».

- ٢ -

انتهت المناقشة فجأة عندما اشار الطيار انه على وشك الهبوط، ثبتت ريبيل نفسها في المقعد خلال هبوط الطائرة قبل ان تقف بثبات في مكانها، وبينما ساعدها باولو على النزول، كان انطباعها الأول كمن يخطو داخل منزل خصيب، حار واسع ممتلىء بحرارة استوائية عالية، من على الأرض كانت الأشجار الكبيرة تفرض علوّها الرهيب، مظلة اوراقها الخضراء تنتشر عالياً، تقاتل من اجل الضوء، تاركة الجذوع عارية تماماً، كان داخل الغابة مظلماً وعلى الأرض، تستلقي تتمدد وكأنها تبحث عن غنيمة.

«ها قد اتت لجنة استقبالنا».

اومأ باولو، مشيراً الى جمهور من السكان يسير نحوهم. حاولت ريبيل ان لا تظهر ارتباكها بينما كانوا يقتربون،

www.rewity.com مرموريـة

لم تكن هذه اول مرة تقابل شخصيات قبلية، ولكن هؤلاء الأشخاص بدوا وكأنهم يخرجون مما قبل التاريخ، عراة ما عدا اقمشة صغيرة مع صباغ احمر فوق وجوههم، نسائهم، ايضاً عراة، ولهم رسومات فوق اجسادهم، مع صباغ احمر فوق وجوههم واقدامهم، ولكن عندما ابتسموا، مشكلين دائرة حول زوارهم، بدا واضحاً ان لهم طبيعة اطفال سعداء، فضوليون فيما يتعلق بالغرباء، خجولين، مع اهتمام واضح بأي شيء جديد يدخل الى عالمهم الواسع المغلق.

بعد دقائق كان هناك صوت لطبول خفية، حيث ظهر رجل من مبنى مشيد على الطرف، صورة مستقيمة طويلة، داكنة وغير منحنية كما الأشجار العملاقة.

شيطان يخرج من جحيمه الأخضر.

مهتمة بتحذير ابيها، نبذت ريبيل التفكير الجيد وعلمت نفسها ان تكون عادية، بينما ابيها ذو ردة فعل هادئة، لا شيء جيد يمكن ان تحصل عليه في اظهار العداء، فيما مساعدة الرجل لهم شيء حيوي لمهمتهم، وكان يجب عليها ان تظهر ودودة من جراء رؤيته.

«سنيور مانشنت؟».

تقدم والدها ويده ممتدة.

«كم يسرني ان اقابلك اخيراً».

«وانا مثلك، بروفسور».

حمل صوت السنيور اللهجة والرنة التي توقعتها ريبيل، عميق كما البرك، واثق كما الصخور المنتشرة على ضفاف

النهر، بارد كما الهواء المعلق فوق الشرفات وسمعته ريبيل يضيف «انني معجب جداً بكتابك حول حقل علم الإنسان ولقد قرأت كل الكتب التي ألفتها حول هذا الموضوع».

«لماذا... شكراً لك، سنيور» قال البروفسور بفرح ظاهر.

«بالنسبة لرجل يحمل معرفتك وخبرتك، اعتبر نفسي عادياً، هل تسمح لي ان اقدم لك ابنتي؟».

استدار لكي يحثها على التقدم.

«ريبيل...» قدمها بفخر.

«هذا السنيور لويز مانشنت... عالم، مستكشف، وخبير في الحياة البرية... والآن منشغل بإقامة مزرعة اشجار اختبارية هنا في الغابة، سنيور مانشنت، اليك ابنتي، ريبيل ستورم».

«سنيوريتا ستورم».

رأت شفتيه تلتويان عند ذكره اسمها، ولكن عندما ينحني ثم يرفع رأسه لا يظهر هناك اية اشارة عن الاستمتاع على الوجه النحيل مع ملامح داكنة وحادة وكأنها نحتت من خشب الماهوغوني، ارادت ان تبعد يدها عن قبضته ذات العضلات، ولكنها اجبرت اصابعها على البقاء ثابتة، تجبرهم على عدم الارتعاد.

«مزرعة اشجار اختبارية في قلب الأدغال، سنيور؟» ارادت ان تنطق السؤال بتهذيب، ولكنها لاحظت عندما رأت تجهم والدها بأن كلماتها حملت لهجة احتقار.

كان موقفه الذي يجب ان يلام... عقلياً، اظهرت

دفاعها، انها ليست مختالة.

«ان حيرتك مفهومة، سنيوريتا».

وببرودة ادرك خشونتها.

«غالباً ما اجد نفسي مضطراً لأن اشرح للدخلاء لماذا، نحاول ان ننمو، ان اسواق خشب العالم هي مجهزة للخشب الناعم، كما ترين، ولكن لسوء الحظ فقط شجرة واحدة من كل عشرة تنمو في الغابة هي صالحة تجارياً، انه املنا بأن الأشجار التي تنمو عن طريق البذور سوف تكون أقل مهاجمة من قبل الأمراض، وتلك هي خطتنا، انه من السابق لأوانه القول ما اذا كانت تجربتنا ستنجح مستقبلاً ام لا، انه مع مناهج العلم الحديث سوف نروض الوحشية او انه علينا ان نذعن ونترك كل شيء على ما هو عليه».

«انني اكيد، سنيور مانشنت» قاطعت والدها الحديث قلقاً من لهجة صوت ابنته وأضاف «انه اذا كان هناك شخص سينجح من ترويض جزء من الغابة دون تدميرها فهذا الشخص هو انت».

شعرت بأنه قد تم زجرها عندما وصفها هذا الرجل بالدخيلة، واخضعها غضب والدها، التزمت ريبيل الصمت بينما كانوا محروسين على طول الممر عبر الغابة والتي قادت تدريجياً الى نهر حيث، هناك فيلاً معبرة، منزل نباتي مبني من الحجر، مع قرميد بلون الحشيش، ودرجات تقود الى شرفة واسعة، وبينما اقتربوا حضر خادم يرتدي معطف ابيض لتقديم الشراب على طاولات خيزران منخفضة، كراسي خيزران مع وسائد ملونة سميكة، تحث الزائر على

الجلوس فوقها.

غرقت ريبيل وعيناها واسعتان في كنبة مظللة وحدقت حولها، تتساءل اذا ما كانت قد تاهت حتى وصولها الى فيلم ذهب مع الريح.

على ما يظهر، بدت افكار والدها وكأنها تتجه في نفس الاتجاه حيث قال «مذهلة... انا لم اتوقع ان اجد هكذا اسلوب من الهندسة في اعماق الغابات».

«بالكاد هذه الاعماق» صحح السنيور بابتسامة وأضاف «هناك العديد من هذه المنازل في البرازيل القديمة» شرح وهو يرخي طوله فوق احد الكراسي.

«في وقت واحد، جهزت بلادي معظم اقطار العالم بالسكر، لقد احتاج المزارعين القدماء الى اشخاص ليزرعوا، يقطعوا ويطحنوا قصب السكر، ولكن الشعب الهندي لم يكن في متناوله، لذا بدأوا يبحثون في اماكن اخرى عن عمال، قبل ان يتم ابطال العبودية، العديد من العائلات احضرت من ساحل الغرب الأفريقي، والحياة في البرازيل كانت مشابهة للحياة في اميركا الشمالية، العديد من القصص عن الجنوب الغابر قد رويت عن طريق رواتي زنجي في البرازيل، وكذلك العديد من المزراعين الاغنياء رووا عن بلاد أبناء عمهم الاميركيين الشماليين».

«هل تعترف بأن احد اسلافك كان تاجر عبد، سنيور؟».

«لا، سنيوريتا، انني لا افعل».

نظر اليها نظرة فولاذية وأضاف.

«لا استطيع ان اقر بما لا اعرفه، لقد امتلكت عائلتي

حقول السكر في يوم من الأيام، بالتأكيد لا اعتقد اي عضو من عائلتي قد اتهم بأنه يستفيد من بؤس البشرية».

بهزة من كتفيه، استطاع ان يعزلها كلياً، بينما ارتفشت من الكأس الكبيرة، طبخ لذيذ من قصب السكر، عصير الفواكه، السكر والرز المطحون، وحاولت ان تقرر من هو هذا البرازيلي الاستبدادي الذي لم تحبه، والذي اعتبرته بعيد تماماً، جو التفوق لديه.

- ٣ -

ألا يمكن ان يكون السنيور لويز مانشنت كارهاً للنساء؟ هل يمكن ان يكون ذلك هو السبب وراء تجهم نظراته، الفم العابس.

تحدث مع والدها بسهولة، و على ذكر الغد، تقدمت منهما وبدأت تسمع.

«اذا ما كنت تشعر بذلك، نستطيع ان نبدأ بعد شروق الشمس في رحلة زراعية انا اكيد انك ستجد العمل الذي نقوم به مثير، ولكن ربما تفضل ان ترتاح لبضعة ايام من اجل ان تستعيد نشاطك بعد رحلتك الطويلة من انكلترا، ولتعطي نفسك الوقت لتعتاد على درجة الطقس؟».

«انه لطف منك، سنيور، ان تظهر اهتمام نحوي».

ابتسم والدها وأضاف «ولكنني اعتقد انك قد نسيت

WWW.SWIT.COM
مـــر مـــوريـــة

انني قد قضيت معظم حياتي اسافر حول مدن العالم، وتغييرات الطقس لا تؤثر بي، وكذلك بالنسبة لابنتي» اوماً باتجاه ريبيل وأضاف «هي، طفلتي المسكينة تعلمت ان تقبل بينما يحصل ان اعمل في المنزل، ان زوجتي تصر دائماً على بقاء العائلة مجتمعة، لقد كانت ترافقني اينما اذهب، حتى عندما كانت تحمل طفلنا، والذي هو ابنتنا التي ولدت في استراليا حيث ادرس ابجدية القبائل، لقد اثر موقع ولادتها على اختيارنا للإسم... ريبيل ليس أسم غريب في استراليا، ارض مستعمرة من قبل شعب روحي لا يتردد في التعبير عن خطأ يراه عليّ ان اعترف بأن ضميري كان يتعذب احياناً من جراء فكرة ابعاد ابنتي عن حياتها العادية.

مع انني اعزي نفسي بالمعرفة بأنه كان هناك تعويض كما ترى، سنيور، ان ابنتي مسافرة خبيرة، سيدة مدركة تماماً، خبيرة في العمل الذي اختارته بدون خبرتها كمصورة لم تكن لتجد كتبي ملونة بتشويق وإثارة».

متأثرة من كلام والدها، وضعت ريبيل الكأس فوق الطاولة ووقفت على قدميها.

«انني اكيدة ان السنيور غير مهتم بقصة حياتي، يا ابي».

بدا صوتها اكثر حدة مما كانت تقصد وأضافت «لا شيء اكثر مللاً من أب يتحدث عن ابنه او ابنته».

ندمت على ما قالته عندما نظرت الى وجه ابيها العابس، اطلقت شفتيها لتعتذر، لتشرح بأنه الامتنان وليس اي شيء

آخر كانت تريد التعبير عنه.

ولكن ردة فعل السنيور كانت سريعة قاطعة بازدراء..

«صح، سنيوريتا، ان والدك كان محقاً في قلقه حول الفجوات في تعليمك حيث انه لو منحت فرصة كافية لتدرسي اعمال شكسبير، شامرك الانكليزي الشهير، لكنت قد ارتبطت بفائدة ما يقول في قوله، ان الأكثر قساوة من لسعة الأفعى، هو الحصول على طفل ناكر للجميل».

كان داخل المنزل إلهام لريبيل، نصب لتحدي الإنسان في نقل الحضارة الى الأدغال ومن محتويات كل غرفة استطاعت ان تتقفى اثر عائلة مانشنت، منذ القرن السادس عشر، حيث ملأت الغرف بالعاج واحجار الجاد والتي احضرها المستكشفين من الشرق.

ذهب واقداح مرصعة بالاحجار الكريمة والتي اكتسبوها من المستعمرين الذين قدموا من البرتغال ليستقروا في البرازيل، خزف صيني وصحون فضية احضرها المزارعين الاثرياء، أثار وبقايا الذهب والتي لم تدم سوى لقرن واحد، واعمال فن رائعة استطاعت ان تلاحظها وقد رسمها انطونيو فرنسيسكو ليزبوا، غات برازيلي مشهور معروف في العالم تحت إسم الكسيح الصغير.

كانت ارض غرفة النوم التي قدمت لها مغطاة ببلاط ازرق ساحر، ثم جلست على طرف السرير وضربت بطرف

الترف الغير المتوقع للحمام والدوش باللون الأخضر مثل كل شيء يظهر عليه الفن مثل اعماق البحار، البرد في كل مكان

www.rewity.com مـرمـوريـة

ولكن التدفئة موجودة عند الحاجة. السرير من القطن الثقيل، ستائر شبكية. . . في الحقيقة كل ما يوفر راحة الانسان موجود.

لأول مرة، تصبح ريبيل فضولية فيما يختص بعدم وفاءها لخزانتها عندما علقت فساتينها القليلة الى جانب وفرة القمصان الرجالية في الخزانة، لم تأتي محضرة نفسها لهذا الترف، لم يمتلك اباها قط اكثر من بذلة فاتحة اللون والتي كانت تسعفه احياناً.

«آه. . . حسناً».

اهتزت، وهي تختار الثوب من بين الثلاثة الذي اعتبرته الأفضل «على الأقل لن يكون هناك مباراة لتقييمي. . . واحدة من المكافآت القليلة في العيش داخل رجل يسيطر عليه الرجل».

لم تحمل في حياتها شك ابداً بأنها تعيش حياتها كما يجب ان تعيشها تماماً، غير مكبلة بالروابط العائلية، حياة حرية، استقلال ورضا عن كل شيء، كانت طفلة غير ممتنة! لقد امتلكت كل ما حلمت به فتاة، واكثر من بعضهن، على كل حال، ماذا هناك بعد غير زوج، بيت واطفال. . . اشياء غريبة عن حياتها مثل الأدغال.

استحمت ريبيل وبدلت ملابسها التي اختارتها، حدقت في المرآة عندما انتهت لأنها عرفت كيف يبدو ثوبها. . . بسيط وعادي، ولكنها استغرقت وقت اطول في تسريح شعرها الذي اصبح لامعاً، ذهبياً، وبحرص لفت شعرها فوق رأسها ثم جلست تحدق في انعكاس صورتها.

«ليس هناك من فائدة في شبك القمر، يا فتاتي!» عنفت

نفسها بجدية وأضافت «عليكِ ان تجيبي علي، ولكنني اعرف انه لن تتم ملاحظة ملابسي».

ولكن عندما حان الوقت لتأخذ طريقها الى الأسفل كانت تشعر بأنها اكثر بهجة، واقنعت نفسها بأن قلقها كان في غير محله، لقد علمتها التجربة بأن الرجال الذين يقضون اوقاتهم في البراري لا يهمهم المظهر، ويجدون جهداً في استبدال ملابسهم بقميص نظيف قبل تناول وجبة العشاء.

فزعها كان غير ضروري، وعندما خطت باتجاه الصالة الكبرى، حيث صدرت اصوات محادثة ترتفع، ثم وقفت على المدخل وبدت، مرتعبة وهي تواجه مجموعة الرجال الذين ارتدوا بدلات جاكيتات بيضاء وسراويل مكوية، لمحت والدها، بينما كان يصغي لحديث صديقه، قبل ان تستدير بذعر لكي تهرب.

«آه، سنيوريتا ستورم».

قالها صوت كريه بينما يد تقبض على كوعها.

«دعيني اقدم لك شراب قبل ان اقدمك الى الموظفين لدي والذين كانوا ينتظرونك باكراً».

للحظة تحولت عينا ريبيل الى الأرزق، تتهمه في انه جعلها تظهر تماماً كما شعرت، غير مؤهلة اجتماعياً. ولقداختار ان يعاقبها لأنها لم تخضع لسلطته.

«لماذا، شكراً لك، سنيور. . . اقدم اعتذاري اذا ما جعلتك تنتظر».

نظرت نظرة شجاعة حول الغرفة، تومىء وتبتسم للأشخاص المجتمعة، ولكن لا ترى اكثرمن لطخات

لوجوه مهملة. . . حتى وقع نظرها فوق المرأة حيث لم تستطع تجاهلها، التقت نظرة مجبرة تحمل وقع المفاجأة، مزدرية.

«لا حاجة بك للاعتذار سنيوريتا. . . نحن الرجال نعرف الوقت التي تستغرقه النساء في إبراز مظهرها».

كان يضحك لها الآن مضيفاً «اولاً عليَّ ان اقدمك الى سافيرا دي باس، الأنثى الوحيدة ضمن المجموعة قربّها قليلاً بينما كان يزيد ضغط يده فوق معصمها.

«سافيرا».

- ٤ -

قدم الجميلة اللاتينية والتي ارتدت حرير وريش مثل طائر الفلامنغو.

«هذه الفتاة الشابة تكون ابنة البروفسور ستورم، الذي التقيته منذ قليل، وهي كما اعتقد مسرورة بإسم ريبيل».

«بشكل خاص. . .؟».

وبينما مدت سافيرا دي باس يدها رفعت احد حاجبيها، وأضافت «انك تبدو عارفاً بشخصية وطبيعة السنيوريتا ستورم، لويز، هل انا مخطئة في قولي بأنها وصلت بالطائرة منذ حوالي الساعتين؟».

«لا انت لست مخطئة. . . ولكن السنيوريتا ستروم تسترد نشاطها بسرعة» ابتسمت ريبيل وراء قناع مصطنع من التهذيب بينما سمعت سافيرا تقول.

www.rewity.com مرموزية

«هل هذا صحيح؟ على كل حال سوف تكون لك رفقة مع احد الأحصنة».

وبينما انقضت السهرة اكتشفت ريبيل بأن الغرفة التي بدت مزدحمة منذ النظرة الأولى كانت تحتوي في الواقع على اشخاص اقل من دزينة، العشاء كان عملاً مفرحاً، حيث اصبحت الأحاديث سريعة اكثر.

وبرغم من جلوسها قريباً من لويز، قاومت ريبيل كل محاولات الرجال فتح محادثة معها، باقية في هدوئها حتى استسلموا وتركوها وحيدة.

«ما الذي تعتزم اكتشافه بالضبط داخل الأمازون، بروفسور ستورم؟» سمعت سافيرا دي باس تسأل والدها، والذي بدا مبتهجاً تماماً.

«معلومات... مواد من اجل سلسلة كتب كنت قد بدأت كتابتها منذ سنوات وتتعلق بعادات وسلوك الرجل البدائي، وبما ان هذا سيكون كتابي الأخير، فأنا احبه ان يكون مميزاً، والذي اتمنى وبالطبع مع مساعدة السنيور مانشنت بأن يكون شعب الأمازون الهندي موضوعه الأساسي».

رد باولو على حديث البروفسور قائلاً «سوف يكون امتيازاً لي ان اساعد بكل طريقة ممكنة، بروفسور، عندما تصبح جاهزاً سوف ارافقك الى مخيمات القبائل الذين يعيشون قريباً من هنا والتي رؤسائهم ما زالوا يتذكرون العديد من الشعائر القديمة والتي سمح لها ولسوء الحظ بأن تزول.

حاولت ان تقاطعه، تفهم السبب وراء تجهم وجه والدها.

«ذلك، ليس ما اريده بالضبط، سنيور... ان القبائل التي تشير اليها لكي تدرسها بعمق... ان هدفي ان ازور الهنود والتي لم تصل الحضارة اليهم، الأشخاص والقبائل التي تعيش عميقاً في داخل الغابات والتي توجد غالباً في سلوك رجل ما قبل التاريخ».

طغى سكوت تام فوق المجموعة، كل العيون اتجهت نحو لويز مانشنت والتي كانت ملامحه غامضة، كما منحوتة هندية بدائية من الخشب.

«ذلك لن يكون ممكناً، بروفسور».

قيّمت ريبيل هيئة السنيور الاستبدادية وقالت بغضب مكتوم «المستحيل كلمة لا نعيرها اهتمامنا، سنيور».

توقعت اعتراض والدها ولكنها اضافت «انا ووالدي واجهنا العواصف الرملية الهائلة، وقلة مياه الصحراء في تركستان، البراكين الناشطة والوحوش الكاسرة في وادي افريقيا العميق، قرش السواحل، غابات ومستنقعات بورنوي، معاً في مهمات لا يمكن حصرها... وكلها واجهنا فيها المستحيل».

كل الحضور، ما عداها هي، ولويز مانشنت، تراجعوا، وبقيت هي وكأنها في حلبة تنتظر ان ينقض عليها النمر الهائج.

قضمته عندما يثور، تصبح متوحشة، وسمعته يقول «وهل توقفت لتفكري ما يمكن لك ان تتركيه في اثرك،

سنيوريتا ستورم؟ هل حصل لك مرة ان الرائحة التي طردتها كجرثومة باردة في اسبوع واحدان كانت ولمدة قرون بين القبائل؟ هل انتِ انانية متسلطة، يعميك طموحك الى درجة انك ترفضين احترام آراء الخبراء والذي بالرغم من تضحيتهم بحياتهم في سبيل مساعدة هؤلاء الاشخاص التعساء، قد عينوا حديثاً، اننا مقتنعون بأنه في كل وقت يكون لنا اتصال مع قبيلة فأننا نساعدهم بذلك نحو تدمير الشيء الأكثر صفاء ونقاوة التي تمتلكه القبيلة.

«النقاوة» خرجت الكلمة من بين شفتيها لتصل الى الرجل الذي كان يكتم غضبه المشتعل مثل الديناميت وأضافت «ان لدى القبائل البدائية اشياء كثيرة لتقديمها كما لديهم اشياء كثيرة للحصول عليها منا، يستطيعوا تعليمنا الكثير، سنيور، المعرفة غير المنفصلة مهمة جداً لأشخاص مثلك».

تجرأت ان تستهزء به وهي تضيف «الذين ينزلون اطراف اقدامهم في نهر الاكتشاف ثم يدَّعون انهم اصبحوا سابحين، والذين يدعوا عيشهم على الأرض بينما في الواقع لا يستطيعون الاستمرار دون الحصول على عصير الليمون والكركند الطازج يومياً».

تنفس عالي صدر من شفاه احدهم، لم تتحرك يده ولم ترمش عين، وكأنهم ينتظرون بتوقع ردة فعل لويز مانشنت.

ولكن ردة فعله كانت مفاجئة، وكانت بسيطة ولكن عميقة.

«هل تتهمينني بالنذالة والجبن، سنيوريتا؟».

«فقط اذا سمحت للنقد بأن يهدأ، سنيور مانشنت، اذا ما اخطأت في حكمي عليك، فأنه سهل عليك ان تظهر لي انني على خطأ!».

ابتسم فجأة قائلاً «ذلك لن يكون شهماً، انه معتقدي بأن على الولد المخيب للآمال ان يتم نهره خاصة الذي يتوق الى استرعاء الانتباه، فتاة صغيرة لم تلعب باللعب تستحق الشفقة تماماً كإمرأة محرومة من الأطفال».

لم تعطى لها فرصة لتنقض اقواله، وقفت سافيرا دي باس حيث ارجع الرجال كراسيهم، تاركين الطاولة، ثم بدأوا ينسحبون نحو الغرفة المجاورة.

«ريبيل!» استدارت لتواجه والدها الغاضب.

«اعتقد انه الوقت المناسب لكي نتحدث بأكثر جدية، ان الموقف الذي تحملينه تجاه السنيور مانشنت لا يطاق... انه لن...».

«الآن، الآن، بروفسور...» اقتربت سافيرا دي باس، تلمع بقوة قائلة «ليس عليك ان تؤنب عصفورتك الصغيرة لأنها تحاول فرد جناحيها، ذلك الحديث كان خطأ لويز... اليس برجل عدواني، رجل مسيطر تماماً، لقد رأيت ذلك يحدث مرات عديدة».

تنهدت بنعومة وأضافت «الفتيات اللواتي يعتقدن انه بأستطاعتهم ترويض غير المروض، يبدأون بإغاظة النمر، ثم يركضون مرتعبين من مخالبه القاتلة، سوف يكون من الجيد لك ان تتذكري، سنيوريتا».

نصحت ريبيل الصامتة وأضافت «بأن الرجال الذين

يعرفونها جيداً دائماً يعودون اليها، الأمازون امرأة... ان لويز متزوج من الأمازون».

كانت ريبيل ما تزال تحدق بسافيرا وهي تتراجع عندما قاطع صوت والدها افكارها.

«هناك أوقات... وهذا واحد منها، عندما افتقد امك بقوة، انني آسف، يا عزيزتي، لم يكن لدي فكرة... ان هكذا وضع لم يحصل من قبل».

«ولن يحصل الآن!».

- ٥ -

قالت ذلك وهي ترتاح «شكراً للسماء، ابي انه من الضروري لي ان انكر كل شيء قالته المرأة؟ لا بد انها مجنونة تهذي... ضحية جنون الأمازون... اذا كانت تعتقد بأنني اصغر قضمة تستميل الشيطان الذي يحكم هذا الجحيم الأخضر.

وقفت على قدميها وغادرت الغرفة، تنبذ كلمات سافيرا دي باس، لسبب ما لم تحبها المرأة البرازيلية، وكانت تحول تعارضها مع لويز مانشنت الى سلاح من السخرية.

تجمعت الدموع في عينيها، تعيش في عالم الرجال، اولاً كطفلة محمية، ثم كزميلة معجبة بشجاعتها ومهارتها كمصورة.

دون ان يلاحظها احد، هربت خارجاً الى الشرفة حيث

www.rewity.com مرموريـة

وجدت هواء الليل بارد، كان القمر يلمع بقوة، يرسم خط فوق اشجار النخيل والتي كانت بيت للقرود الليلية، ورائها السماء الداكنة كانت ملتهبة، كانت ريبيل شاردة لكي تلاحظ ضوء السيجار الذي كان يلمع في نهاية الشرفة حيث الصورة بدأت تقترب منها.

«مثل الحرباء، انك تبحثين عن الأرضية الاسلم لطبيعتك، سنيوريتا ستورم».

«نفس الشيء يمكن قوله لك، سنيور مانشنت».

جعلت نظرها يسرح الى حيث اضواء الڤيلا المترفة، حيث كان ينبعث صوت موسيقى، ضحك ومحادثات مختلفة.

«ان اكثر ما أراه في هذا المكان، الأسهل لكي افهم ترددك في هجر حياة متعة كهذه».

سحب عميقاً في سيجاره، الذي اضاء بعمق تحت عيناه الداكنتين، ارتعشت تشعر فجأة بالبرد، وتعرف بأن عيناه الثاقبتين ربما تلاحظان ذلك.

«انه من غير الحكمة ان تخرجي في الليل دون شال، قبل ساعتين من بزوغ الفجر، كان الطقس في اقل درجات حرارته، جاعلاً اهل هذه الأرض يشعرون بالبرد حتى، حيث كانوا يذهبون الى النهر للاستحمام، حيث ان الماء على الرغم من برودتها تعتبر اكثر راحة من برودة وهواء الليل، اذا كان عليك ان تقضي الليالي في الغابات سنيوريتا، عليك ان تتحضري لكي تبقي قريباً من رفاقك بحثاً عن الدفء».

«انك تعتبر ذلك مشقة، لقد كنت في اوضاع اسوأ بكثير ولقد واجهتها كما يفعل الرجل تماماً».

«انني اصدقك».

قال ذلك بلطف حيث لم تلاحظ اهانته المبطنة.

«ان الأمازون يأخذ اسمه من عرق اسطوري، محاربات واللواتي كان يصفهم السكان بالجلد الشاحب والشعر الباهت، واللواتي كانوا قادرات على محاربة عشرات الرجال، ان الهنود يقسمون بأن هكذا نساء موجودات وهم يعبدونهم كالآلهة، ولكن شخصياً لا اجد شيء لأعجب به في النساء اللواتي يحاولن اغتصاب دور الرجل كصياد، لقد كان والديك مخطئين في حرمانك من العابك، سنيروبتا، لقد ارجعك السفر ومعايشة الرجال الى مزيج من الصلابة والأنوثة، لديك جسد جميل، ولكنك قطة تطوف الغابات بحثاً عن فريسة، انني معجب بنفسي كوني رجل بكل معنى الكلمة كما الرجل الأخر».

نبذ سيجاره وسحقه تحت قدميه بينما كان يضيف.

«ومع ذلك فأنا اكيد بأن قضاء ليلة في سريرك لن تؤثر على اقل ارتفاع في حرارتي».

وجدت ريبيل والدها وحيداً عندما انضمت اليه على الفطور في صباح اليوم التالي، ومع ان الوقت كان باكراً، كان لويز قد تناول فطوره وترك الڤيلا... ولقد تأكدت من ذلك عندما راقبته من نافذة غرفتها وبينما اصبح على بعد اميال عن الڤيلا نزلت الى الأسفل.

«لقد غادر لويز للتو».

«لويز؟ هل اصبحت صديقاً للسنيور المتعجرف؟».

اوماً قائلاً «انني احب الرجل».

قال ذلك وهو يرفع بأتجاهها الطعام وأضاف «بعد ان فكرت كثيراً بالموضوع، وجدت ان هناك حقيقة كبيرة فيما يقوله، من وجهة نظره، فأن اصرارنا في تعقب اهتماماتنا لمعرفة عادات الهنود يظهر انانية جداً».

ترددت بينما قالت بعد لحظات «انت لا تخبرني بأنك سوف تنبذ مشروعك، ان تترك سلسلة كتبك غير المنتهية، فقط بسبب رأي رجل واحد؟ لا يسمح لك ان تصبح ذو عقل مسير، يا والدي».

«لا، انا لن اقول شيئاً... لقد وعدني لويز ان يوفر لي كل الملاحظات التي جمعها عبر السنين والتي اكد لي انني سوف اجد كل المعلومات التي احتاجها عن عادات، تقاليد واسلوب حياة القبائل المنسية. ان ذلك شيء مقبول نوعاً ما... ولكن اذا علمتني الحياة شيء، هي ان هناك أوقات عندما يتوجب عليك ان ترحني، انا اعتقد، يا عزيزتي ريبيل بأن نجاح العمل الذي قمنا به حتى الآن قد جعلنا فخورين بأنفسنا، مع ادراكنا بأن كل ما نفعله هو منفعة لكل شخص».

وبحرص مسح فمه بفوطة قبل ان يتابع كلامه.

«انني جاهز لكي اعترف بأنه يمكن لي ان اكون مخطئاً، ولكنني اتمنى بأن تعترفي انت بما اعترف به انا».

دفعت صحنها جانباً، وقد فوجئت بملاحظة والدها، والذي تعادل رغبته في اتمام كتابه الأخير رغبتها، والذي

الآن مستعداً للخضوع لرغبة وارادة رجل مستبد معتاد على معرفة بأن كلمته ورغبته تعتبر قانون الغابة هنا.

«ربما انت محضر ان تتلق الأوامر من السنيور مانشنت، ولكن انا لا! يجب المحافظة والتمسك بالقواعد، لقد كنت تقول دائماً بأن صوري اساسية للقارىء كما كتاباتك، وبينما انت تعمل فوق ملاحظتك، كيف لي بحق السماء ان انتج صوراً دون ان يكون هناك موضوع لتعويده؟ لا، اذا رفض لويز مانشنت مرافقتي الى حيث اريد فعلي ان ابحث عن شخص آخر ليفعل ذلك!» عبس والدها غير مسرور وقال «لماذا عليكِ ان تكوني عنيدة؟ لو كان بإرادتي ان ادعوك لدعوتك ذات فطنة بدلاً من اسمك ريبيل».

زولكي يوقف المجادلة توقف عن الطاولة، وبدأ يأخذ طريقه باتجاه الباب.

«آه، بروفسور ستورم» اوقفه صوت على العتبة والذي أضاف «لدي رسالة لك من السينور مانشنت، انه يقول انه حاضر الأن لكي يأخذك في جولة حول المزارعين، واذا سمحت ان تلتقي به خارج الاسطبلات عندما تريد ذلك».

«بسرور» قال والدها بلهجة جعلت باولو يرفع جفونه.

«ليس هناك وقت ملائم كما الآن».

«ان والدك يبدو غريباً هذا الصباح» قال باولو ذلك لريبيل وأضاف «هل يؤثر عليه الطقس، هل تعتقدين ذلك؟».

«لا... لقد ازعجته، انني خائفة».

«مستحيل» قال ذلك وهو يتناول كرسي والدها وأضاف «ان رؤية وجهك الجميل تجعل اعصاب اي رجل تهدأ».

«اشك بأن يوافق معك والدي على ذلك، وحتى السنيور مانشنت، منذ وصولي الى هنا سبب القنوط للجميع».

«ليس لي، يا عزيزتي» قال ذلك بينما كان يمد لها يده وقال «تعالي، دعيني اكون اول من يقدمك الى اعاجيب الغابة».

«احب ذلك كثيراً... فقط اعطني لحظات لابحث عن كاميراتي».

«وغلاف لا يدخله المطر».

- ٦ -

قال ذلك بينما كانت في نصف طريقها وأضاف «اننا متأكدين بأننا سوف نحصل على المطر هذا الصباح».

وبينما مشوا على طول الممر والذي يقود الى حيث تجثو الطائرة، اخذ باولو يدها، وبعد تردد قبلت اشارته الى الصداقة.

تابعوا مسيرهم على الطريق المتشعبة، يعيقهم هنا وهناك اشجار مبتورة وجذوعها تمتد على الأرض، روائح قوية، نبات صغير وشجيرات كثيفة الخضرة.

«كم تبدو الغابة صافية».

همست ريبيل، بينما رجع صدى صوتها.

«بارادا» قال باولو بصمت ضعيف، تجمدت ريبيل وشعرت بالرعب عندما كان هناك افعى بطول اثنا عشر قدماً

www.rewity.com مرمورية

تحت اقدامهم.

«آه...».

استرخى باولو وهو يضيف.

«انها فرخ بالكاد».

«فرخ...؟».

اخذ بيدها متابعاً المسير وهو يقول «حنش، غير مؤذٍ بتاتاً حيث تجدين بعض البيوت تحتفظ بالصغار منها.

«انا اعتقد... بأنني سوف اتخلى عن عادة اقتناء الكلاب والقطط».

علت ضحكته، وصداه يرجع من وراء الاشجار التي ليس لها نهاية، كان هواء الصباح منعش تماماً ومناقض لبرودة الليل القاسية، وبينما تقدموا الى الأمام، الى اعماق الغابة الخضراء، بدأت ريبيل تلاحظ بأن الأمازون عالم مستقل بذاته، والذي جعلها تشعر بالعزلة، وبدأت تشعر بأنه لم يعد من جديد في هذا الكون، وبينما باولو يتصرف كدليل لها، يتوقف ليديها عصفور وهو يطعم اطفاله، عيناه تبحثان عن فريسة لاصطيادها، طيور غريبة تنتشر على مسافات وغزال ناعم يرفع رأسه يستشعر الخطر، كان الأمازون مختلفاً كما كوكب آخر.

وبينما ارشدها باولو حول شجرة ساقطة، توقفت لتصوير رزم من زهور مختلفة الالوان، فقط لترجع بمفاجأة بينما كانت تقترب من ازهر تعلن عن نفسها كحشد احضر، فراشات بيضاء وصفراء.

«سوف تلاحظين بأن الأمازون يحمل الكثير من هذه

المفاجآت... انه عالم مكتمل مستقل بنفسه، مع قوانينه الخاصة، شروطه الفريدة، وحتى اسبابه هنا لا تجدين صيف، ربيع، خريف أو شتاء، فقط فصول رطبة وجافة، اشجار تظلل اوراقها، براعم تتفجر كأزهار، ريش عصافير وحيوانات مختلفة، كلها في نفس الوقت وبعد حمام مطر سوف ترين البراعم تظهر وتذكرك بالربيع، وفي وسط النهار تذبل الاوراق وتموت الزهور وكأنها في الخريف، ومع ان الغابات غزيرة، فأنها تنتج القليل الصالح للأكل، ولكي تبقى الهنود احياء في بحثهم الدائم عن الطعام».

وكأن الطبيعة ارادت اثبات كلماته، انفصلت الاشجار فجأة مظهرة مجموعة غريبة من النباتات وكوخ من النباتات.

«ماندیوكا... نبات نشوي والتي تؤلف مع الاسماك قواعد لغذاء لكابولكوس».

عندما ظهرت امرأة على الباب، لمست ريبيل الكاميرا بأصابعها غريزياً، وجهت كاميرتها، ثم ترددت بأن تسأله.

«هل تعتقد بأنها سوف تمانع؟».

«انا اكيد انها لن تمانع...».

وبينما اقتربوا اكثر لاحظت ريبيل بأن المرأة كانت كبيرة كما بدت منذ النظرة الاولى، بدا وجهها متعباً ومضنى بالهموم، كان جلد ذراعيها مشدود، عيناها البنيتان واضحتان، عندما اشارت بأنها ترحب بهم في داخل كوخها.

وبينما تحدثت المرأة مع باولو بلهجة الأمازون، ابتعدت ريبيل بعيدة، وبعد طلب من باولو، ركعت المرأة على

www.rewity.com

الأرض، وهي تضع سلال عميقة بين ركبتيها، ثم بدأت تفرك قطع من مانديوكا المجففة.

«بعد القيام بعمل كثير... سوف تنتج مادة بيضاء خشنة والتي تشبه الطحين».

امضوا ساعات ممتعة يتحدثون الى المرأة الذكية، والتي شاركتهم غدائهم المؤلف من السندويشات والقهوة، بينما تولى باولو مهمة المترجم، بأن زوجها واولادها كانوا الآن عند النهر يصطادون السمك.

وبينما كانوا يرجعون قالت ريبيل «ما لا افهمه هو كيف اصبحت خرافة الالدواردو حقيقة، وكيف اعتبر المستكشفين الأوائل الابنية الملكية، والمدن اللامعة مثيرة في وسط الأدغال».

«السراب والاوهام... لم يتم ايجاد اي دليل للتأكيد بأن الالدواردو سبق ان وجدت، وكذلك لم يتواجد اي دليل سلبي عن اسطورة النساء المحاربات ذوات الشعر الباهت، الأمازون الذي يعطي النهر اسمه، وهنا يستنتج الإنسان بأن المستكشفين القدماء كانوا اما هذيان... أو يرجعون الى التصور الذي احمله وهو انهم سراب، وكذلك فأن نهر الأمازون واسع جداً حيث تختفي الضفاف عن مجال الرؤية، والجزر فوق الأفق البعيد تبدو وكأنها معلقة في الهواء، ذات مرة لم استطع تصديق عيناي عندما رأيت برج كنيسة ضخمة فوق ضفة النهر».

اتسعت عينا ريبيل الزرقاوين من جراء الفارق الشاسع بين هذا الاقليم، والاقاليم الأخرى الغير متحضرة من

العالم، كان الأمازون بالحقيقة امرأة، مع حب المرأة للغموض، ويحمل شيء مايرجع الى الشجاعة والاستعباد... وكان شيئاً عظيماً ان هذه المرأة ولقرون عديدة ما زالت تسحر الرجال.

كانوا يسترحون امام شجرة نخيل ضخمة بينما يراقبون ببغاوات زرقاء وقرمزية تطير قرب الفاكهة.

كان باولو يجلس بهدوء، واعتقدت انه سقط في غفوة، حتى شعرت بأصابعه الحارة فوق عنقها وصوته يقول.

«ريبيل، انك جميلة جداً، عليَّ ان اقبلك ببساطة».

وبدون ان يعطيها مجال للاعتراض، سحبها نحوه، ثم قبلها وهي مندهشة كلياً، كان القرار له.

اغلقت عينيها عندما فكرت بأنه يمكن لها ان تستغل باولو، والذي بدت عواطفه غير ناضجة كما عواطفها، لم تقاومه.

واخيراً ابتعد عنها، عيناه تلمعان، وبتنهيدة رجع الى جذع الشجرة، حيث كان رأسها يرتاح فوق كتفه.

«باولو...».

«نعم، يا حبيبتي...».

«... اذا كان عليك ذلك، هل تستطيع ان تجد طريقك عبر الأدغال الى القبائل المنسية؟».

«ربما... اذا كان عليَّ ان افعل ذلك... ذات مرة، رافقت السنيور، ولكنني لم ار شيء، ولم اسمع شيء، كما امرني ان انتظر هنا حتى يعود».

«ولكنك تستطيع ان تجد طريقك الى هناك؟» حثته، غير

قادرة على كبت اثارتها.

«نعم...».

«اذن ارجوك، ارجوك باولو».

استدارت لتواجهه، ثم قالت وهي ترخي له عينيها.

«هل تأخذني الى هناك؟ نستطيع ان ننسل بعيداً بهدوء... فقط نحن الاثنين... ثم عند رجوعنا نفكر بعذر لغيابنا، بتلك الطريقة استطيع ان احصل على صوري».

- ٧ -

لم يستطع باولو ان يجادلها لأن وجهها كان قريباً منه يرجوه، متيقظة لضعفه قالت ريبيل.

«لقد استمتعت برفقتك كثيراً، باولو... فقط لو تعدني بأنك سوف تساعدني، فسوف اعتبر هذا اليوم اجمل إيام حياتي».

«كما سأفعل انا، يا عزيزتي».

همس ثم اضاف «اذا كان وعد مني يجعلك سعيدة، اذاً فأنا اعدك».

«أوه، شكراً لك، باولو».

وتساءلت ريبيل بينما كانت تنظر اليه اذا كان من الحكمة استغلاله، كان باولو يافعاً وغير ناضج، ولكنه كان ايضاً برازيلياً، مع دم لاتيني يجري بحرارة في عروقه.

www.rewity.com مرموريـة

هبت الريح عبر الغابات، تضرب رؤوس الاشجار بجنون، حتى وهم يركضون في الغابة بحثاً عن ملجأ، تجمعت الغيوم وسقط المطر بجنون، يضرب سطح الغابات بصوت يشبه اصوات الثيران وهي تصارع داخل حلبة المصارعة.

وبينما كانا يركضان يداً بيد على طول ممر الغابة، كانت الاوراق والجذوع تعيقهم عن التقدم، ثم توقفت العاصفة فجأة كما بدأت، وبدأ البخار يرتفع من سطح الغابة.

عندما اصبحت الثيلا على مرأى منهم، ضعفت قدمي ريبيل، ثم توقفت.

وهي ترتعد، ليس بسبب الملابس التي تغطي جسدها، ولكن لسبب غير معروف ذكرها بالرجل الذي تدعوه القبائل كوروبيرا... الرجل المتوحش... اسمع يشير الى رجل يختبر الموت ويعايشه في ظل حكم الأدغال وعواصف الغابات اللانهائية.

لأول مرة في حياتها كانت ريبيل تختبر الخوف، والذي كان ذو طعم جاف وقاسي في فمها، عندما ارتعشت ولمدة ثلاثة ليالي داخل كيس نوم والذي امن لها الحماية من الحشرات التي تظهر في الليل مع بزوغ القمر.

كان هناك على ضفاف النهر تكاثر لأسراب البيرنا... اسماك خطرة والتي تنهش اللحم عن العظام، والتماسيح التي طافت فوق سطح المياه مثل جذوع خشبية غير مؤذية، كانت سبب ثاني في خوف ريبيل والذي كان يكبر مع مرور كل يوم والذي يثبت بأنهم ضاعوا في مطر

الغابات، وبأن باولو نسي او لم يتأكد تماماً من الطريق الواجب سلوكها.

في اول يومين لها انهمكت ريبيل في تهيئة نفسها لكي تعتاد على الاحساس الغريب بالشيئين الوحيدين الذين يحيطان بها... الماء والغابة... عندما فروا بادىء الأمر بعيداً عن المزارع، كان قاربهم الذي تناولوه من مخازن لويز مانشنت، لقد تأكد باولو من الجو قبل المباشرة في الرحلة، ولكن، بعد مرور عدة ساعات، على دهشتها ودهشته، وبدلاً من الاستمتاع بالنجاح، بدأ القارب يتحرك الى الوراء، يجسده ضغط هائل الى ان اصبح القارب لكي يأخذ طريقه.

«ماذا... ماذا علينا ان نفعل الآن؟».

«انتِ اخبريني».

تحداها باولو بعدم رضى وأضاف «انتِ الخبيرة، المتسكشفة المدركة التي تهكمت عندما حاولت ان اظهر لها مخاطر هذه المحاولة....

حدقت ريبيل عبر كتفيه، ولكن جدران الغابات كانت تسد عليها الطريق ليس من ورقة او صوت يحييها.

حاولت ان تهدىء الشاب الذي بدأ يثور الآن.

«انني آسفة باولو، ان ذلك خطأي، لم يكن علي ان اطلب منك اصطحابي الى هنا، لقد اعترفت انك كنت مجنوناً بموافقتك على هكذا خطة، اغفر لي ارجوك».

كانت تخبىء خوفها وراء قناع من الهدوء.

«ارجوك لا تغضب مني، باولو، انني افضل ان اضيع

في الأدغال مع صديق بدلاً من عدو».

حتى في وسط الكابوس، كان مزاج ريبيل مرتبكاً صعب مقاومته.

«لا استطيع ان اسمح لكِ بتحمل الملامة كلها، ان القسم الأكبر من الخطأ يعود لي» اصرَّ على ذلك عندما رأها تهز رأسها.

«ان السنيور مانشنت اثر فينا جميعاً واكدَّ لنا مخاطر الدخول الى الأدغال دون دليل، لقد فكرت بأن بوصلة واحساس عالي من الإدراك ستجعلني قادراً على اختيار الطريق المناسب، ولكنني على طول الطريق، فقدتها عليَّ ان اعترف بذلك ريبيل، بأننا قد تهنا في جحيم اخضر هائل».

كان عليها ان تقاوم بشدة، موجة الرعب التي هددت شجاعتها، تحولت عيناها الى الأخضر، حيث بدأت تتخيل ما يحيط بهم، الجذور المستلقية بقربهم، رؤوس الاشجار تهتز، وكأنها تريد ابعاد الضوء ولتحرمهم من الهواء الذي يتنشقونه».

«لا تكن سخيفاً يا باولو» قالت غير متأكدة من نفسها، تطمئن نفسها.

«انك تسمح لمخيلتك بأن تذهب بعيداً، ان اول ما علينا فعله» صممت، ان تأخذ المبادرة بنفسها.

«هو ادارة دفة القارب الى احد ضفاف النهر حيث نستطيع ان نحصل على ما نخزنه، وانا اكيدة عندما ستتناول طعامك فسوف لن تكون متشائماً لهذه الدرجة».

شجعته كلماتها على تقبل الأمر الواقع، حيث وبعد مدة من الوقت اضرم النار، وطبخت ريبيل قطع من اللحم مع عجين، وبدأت عيناها تظهران اقل خوفاً واكثر راحة.

«انك تجعلينني اشعر بالخجل» قال ذلك وهو يتناول وجبته.

«يفترض انه يكون النساء الجنس الأضعف، مع انك اظهرت تحمل اكثر من عدة رجال» ابتسمت وكانت على وشك الإجابة عندما التقطت صوت بعيد.

«ما هذا...» قال باولو بعصبية.

«هل تسمعين شيئاً؟».

«اهدأ».

دفعت صحنها جانباً لكي تركز اكثر، لم يسقط الليل بعد، اذاً فأن القرود لم تبدأ مطارداتها الليلية، الصوت الوحيد سببه نسيم يتداخل بين الاشجار... يخلق ضجة مشابهة لموسيقى وحيدة.

ثم التقطت الصوت مرة ثانية والذي اثار اهتمامها، خافت تماماً ولكنه يكبر.

«انه صوت احد المراكب».

قفز باولو على قدميه وأضاف «مركب السنيور، شكراً لله... لا بد انه تبعنا، لو عرفنا ذلك منذ هربنا».

سوف اقفز الى النهر واخاطر بوجود سمك البيرانا، قررت ريبيل ذلك، ثم شعرت بالخجل من تفكيرها، بدون وصول لويز مانشنت، ربما كانوا في اعداد الموتى من الجوع، كان المركب يقترب اكثر.

بدأ باولو يخيف الطيور لجذب الانتباه ويحث القرود على الحركة، وكما هو متوقع، اهتدى المركب الى مكانهم بالضبط.

كان لويز مانشنت وحده برفقة هندي بدا مريضاً، يحمل نظرات عصبية حوله، بينما خطى خارج المركب امام الرجل الآخر، حضرت ريبيل نفسها، بينما باولو اصبح اخرس، يدرس الغضب الذي يظهر على الرجل القادم نحوهم.

- ٨ -

ولكن هدوء لهجته صدمتهم اكثر من اي شيء آخر، وقال لباولو دون ان ينظر اليه.

«امشي بهدوء حتى حافة النهر، واصعد الى القارب، لا تحاول الكلام، فقط افعل كما امرتك ودع الهندي يرجعك الى الڤيلا حيث تستطيع ان تؤكد للبروفسور ستورم بأن ابنته في خير الآن، اذهب فوراً».

سد اعتراض باولو محاولاً السيطرة على صوته، وأضاف «اتمنى ان يقوم رؤساء القبائل بتحويل لحم جسدك الى زيت للطبخ!».

لم تسبب له تنهيدة ريبيل اي تأنيب ضمير.

راقبت ريبيل باولو والهندي يأخذان القارب، تاركين اياها تحت رحمة شيطان في جحيمه البربري.

www.rewity.com مرموزية

«اجلسي، وانهي عشاءك».

امرها بهدوء، جلست غير قادرة على مقاومة نظراته العديدة القاسية، ولكنها قالت بعد فترة صمت مخيفة.

«اشك، سنيور بأن هذه الميلودراما قد تم تمثيلها كنوع من العقاب، ولم يكن هناك من سبب ان نترك باولو يذهب وحده».

وبلذة رأته يمضغ قطعة لحم، ويبتعلها قبل ان يقول «في هذه اللحظة نحن مراقبين من قبل جمهور اقدره بحوالي العشرة اشخاص، سوف يبقون يراقبوننا ما دمنا هنا، ولكن اذا ما حاولنا المغادرة الآن فسوف يظهرون حالاً، ولهذا علينا ان نتصرف كرهائن حتى يتأكد باولو من ذهابهم.

«ولكن انت تعرف هؤلاء الاشخاص، انهم يتقبلونك كصديق، لقد سمعت والدي يقول ذلك».

«ولهذا انا حتى الآن، لم انتهك صداقتهم» قال ذلك محاولاً البقاء على طبيعته بينما أضاف: «عندما انتهي من الطعام فسوف انقذ اكياس املاحي من اجل طعامهم، ثم بعد وقت قليل سوف اتحقق اذا ما تم قبول ذبيحتي، اذا ما قبلوا بها، فسوف اعرف بأن سؤالي لهم في زيارة قريتهم قد تم قبوله، واذا لا...».

هزة كتفيه جعلتها تشعر ببرد كبير، وسألته بجدية «ولكن الم يقوموا بقبولها دوماً؟».

«بالطبع، حتى الآن».

اومأ مضيفاً «وإلا ما كنت ابداً جالساً هنا اتحدث اليك،

ولكن في كل زيارة كنت اذهب وحدي، وهكذا فأنا لا اعرف كيف سيتصرفون عندما اقدم لهم غرباء في قريتهم.... امرأة غريبة، لا يستطيع المرء ان يفهم بأن ارادتهم الحسنة تعني الترحيب».

«انني ارفض ان اسمح لنفسي بأن اخاف من مبالغتك القاسية.

تذكرت ريبيل ليلة وصولها، عندما وقفت على الفراندا التابعة لمنزله تراقب بعينين خائفتين شغب وقوة عاصفة كهربائية، جرح الضوء من خلال الغيوم الرمادية.

«اذا ما كان الحظ بجانبنا، سنيوريتا، فسوف نجد الكافي من الوقت لنتبادل الإهانات، والآن هذا الشاب سوف يخسر وظيفته بسبب امرأته، وظيفته التي كانت قبل وصولك، لها الاولوية».

«أوه، لا بالطبع انت لا تعني بأن تطرد باولو؟».

«لا استطيع ان اوفر الوقت لأكون خادماً لأحد اعضاء طاقمي، لقد تم تحذير باولو عدة مرات فيما يختص في الغابات والادغال من مخاطر، الضفادع السامة، العناكب الخطرة والنباتات التي تمتص الإنسان بسهولة فائقة، بالكاد يستطيع ان يشتكي».

وبإشارة تدل على ان صبره قد طفح، توقف على قدميه ومشى ناحية المركب، قبل ان يرجع بعد قليل يحمل سلة ما القدور.

ثم بعد ان قام باستكشاف المكان حوله قام بالجلوس مرة ثانية امام النار، وقالت ريبيل وهي محتارة.

«هل انت انسان ام آلة؟ ربما ستجلس هناك تنتظر هؤلاء المتوحشون اذا ما كانوا سيقومون بقتلنا ام لا، ولكن انا لا! في اي حال، لقد بدأت اشك بوجود هكذا متوحشون، ولهذا قررت ان اركض نحو المركب، هل ستأتي ام لا؟».

تحدته بتهور وسمعته يرد عليها بهدوء.

«لا تفعلي... لا تدعيني اوقفك».

لم تحب ما قاله، كانت قدماها تضعفان وقبل ان تقوم بتنفيذ ما قالته، سمعته يقول لها بتحذير.

«قبل ان تقومي بأي شيء خاطىء، سنيوريتا ستورم، انصحك بأن تنظري حولك برهة من الزمن».

ادارت رأسها في الاتجاه الذي اشار عليه، ثم تراجعت بذهول، تحدق بعينان واسعتان في المساحات الفارغة حيث ذبيحته كانت منشورة بشكل واضح.

«الأفضل ان تنامي الآن، اذا اردت، سنيوريتا».

لم تلاحظ كم كانت متهورة، إلا عندما سحب احد يديه، فوق جبهته ومسح حبيبات العرق الباردة، فوق جبينه.

«لا يتوقع منا بأن نقبل دعوة الهنود في زيارة قريتهم حتى الصباح».

كانت نار المخيم قد اطفأت، وعلقت الأراجيح ووضبت، وتم غسل الصحون التي استعملوها على الافطار.

كان لويز مانشنت مشغولاً في اخفاء المركب، بينما جمعت ريبيل معدات التصوير خاصتها.

كانت تشعر بالخوف وفي نفس الوقت تائهة، فقط قبل يوم من مغادرة المزرعة اخبروها عن المرأة في الأمازون، واحدة من اعضاء قبائل الهنود والتي اعتبرت مع السنين عنصر هام، والتي ضربت والدها بالهراوة حتى الموت من اجل تحريره من ارواح الشياطين والتي اقتنعت بأنها هي سبب مرضه.

كانت يديها تهتزان بإثارة بينما كانت تعلق حقيبتها حول كتفها وتبحث عن لويز مانشنت، مشتاقة ان تبدأ المغامرة، تثيرها من انها ستكون اول شخص سوف يرى ويصور ويختبر عادات واخلاق القبائل الوحيدة المتبقية قبل التاريخ.

«هل انت جاهزة، سنيوريتا؟».

عندما مشى امامها كادت ان تبتسم له، ولكن بعد نظرة فوق عينيه الرماديتين الباردتين عدلت عن ذلك، ببطء يختبرها، يبحث عن اخطاء في مظهرها، لم تلاحظ كم كانت مشدودة تنتظر شرحه، حتى استدار فجأة، مشيراً عليها ان تتبعه.

تخيلت ان تكون القرية الهندية قريبة من هنا، ولكنهما صارعا الأدغال ولساعات طويلة، يتوقفوا احياناً من اجل التأكد من الطريق ومن سلامتها، لا بد انهم غطوا اميال عديدة قبل الآن، وبإشارة رضى، اشارلويز مانشنت الى أثار لأقدام فوق عشب الغابات، غير مهتماً لقرارها عدم الاعتراض.

وللحظات سمعت شيء غير عادي، ثم التقطت اذنيها

قرع طبول خافتة، على ريتم واحد كما ضربات قلبها.

«اصوات مثيرة».

قال وهو ينقل مكان بندقيته المجهزة فوق كتفه، وعندما انطلق في اتجاه الصوت، تبعته ريبيل بضجر، اي رجل آخر كان انتظرها لكي تمشي بمحاذاته.

ضربت اسنانها، مشت خلفه، مدركة لتعبها وللحرارة العالية وكذلك صوت الموسيقى التي علت تدريجياً، كانت متعتها ومفاجأتها اكبر عندما ثاروا بدون تحذير ورأوا اقتحام بحت، مياه عذراء تندفع من اعالي صخرة سوداء الى بركة بلون الكريستال الصافي.

«كم هي جميلة!».

قالت ذلك وقد نسيت تعبها.

«عليَّ ان اصور هذه».

- ٩ -

بدأت تحضر كاميراتها عندما سمعته يقول «صبراً، سنيوريتا!».

بدا صوته مفاجأ لها تماماً.

«المياه كانت تزئر فوق الصخور السوداء وتختفي في غيمة من الضباب منذ بدىء الخليقة، نفس هذا المنظر ربما أثار اوائل الرجال لاستكشاف الأمازون، لذا تأكدي بأن المنظر موجود لتصويره، بعد ان نتناول بعض المقبلات، ألا توافقين».

استلقت على معدتها فوق حافة البركة، وهي تترك يدها لتلعب بالماء بينما كان يتشاركان في القهوة.

حاولت ريبيل ان تحافظ على نفسها هادئة بالرغم من اعصابها المتوترة.

www.rewity.com مـرمـوريـة

«انني اتساءل كيف تتدبر هذه النباتات الرقيقة في ان تعيش مع قوة هكذا مياه منتشرة حولها».

سمعت اسنانه تكسر قطعة بسكويت، ثم قال «هكذا نباتات لا تستطيع العيش في اي بيئة اخرى، انها تحتاج ان تغمرها المياه بشكل دائم، وهي تثبت بأنها اكثر قساوة مما تظهر عادة».

بدأ الدم يسير في عروقها بسرعة، وسمعت ضربات قلبها القوية حيث لم تستطع ان تميز صوت قلبها عن صوت الطبول القريبة، احست بنظرة عينيه فوق حنجرتها، ثم مررت احد يديها والتقطت ياقة قميصها بينما عينه تجعلانها تحس بخجل شديد.

ثم ولشدة خجلها غطت ريبيل صدرها بيديها وسمعته يضحك بصوت عالٍ.

«ما الخطب، سنيوريتا ستورم».

قال بهزء ثم اضاف «لم يبدو وجهك خجلاً، ولماذا تنظرين بعيداً عندما تلتقي عيناي بعينيك؟».

لماذا تشعر ريبيل بأنه قد تم اصطيادها، خداعها من قبل هذا الرجل حيث ابتسامته تبرز بوضوح رغبته في معاقبتها.

ادراك خفي جعل دوافعه واضحة، بالطبع! قراءته للوضع بينها وبين باولو كانت وراء التغير المحير لموقفه! البارحة قال بأنها تبدو خبيرة، والآن بأنها هشة، لم يكن اي مما قاله صحيحاً، القلائل من النساء تسافرن بعيداً يرون، يسمعون او يختبرون كما تفعل هي، بدون ام تعلمها، ووالدها الذي فشل في ملاحظة ابنته الصغيرة تنمو امام

عينيه، كانت ريبيل ذات فرص لا بأس بها، ولكنها بقيت بريئة كما اليوم الذي ولدت فيه.

ولكن لويز مانشنت لم يعرف ذلك! حتى هي لا تنوي ان يقع سلاح تعذيب كهذا بين يديه.

«انت تناقض نفسك، سنيور... في لحظة تتهمني بأنني صلبة ثم تقول انني خجولة، لماذا عليَّ ان اشعر بالخجل منك؟».

واجهت التحدي في عينيه الرماديتين وأضافت «على كل حال، انت رجل آخر، واحد من المسافرين العديدين الذين عبروا حياتي».

اجبرت عيناها على البقاء ثابتة، بينما عيناه تضيقان بنار حارقة.

«لقد اصبح من السهل فهم لماذا باولو قد وقع تحت تأثيرك، سنيوريتا ستورم اعترف انني في المرة الاولى وجدت الأمر صعباً في ان اقرر انك طفلة مشاغبة ام امرأة ماكرة، ولكن الآن لم اعد اتساءل، منذ وجود الرجل على الأرض اصطاد ليحيا، ولكن انت لا تملكين نفس العذر، اشك بأن تكوني في قلبك جبانة، وبأن نجاحك كصيادة يعتمد على اختيارك المميز للعبة، واريد ان اسألك هل كان كل ضحاياك يافعين وعديمي التجربة مثل باولو؟ انني اتحداك سنيوريتا» كان نفسه فوق عنقها بارداً وأضاف «اتحداك ان تبرزي ذكاءك، مهارتك وتجربتك ضد عدو اكثر رهبة...! تواجهين الخطر، وان تجرؤي على قبول التحدي وتكتشفي لنفسك الفرحة السرية في التمتع بالحياة

حتى الشمالة باختبار القبضة الباردة للخطر».

بقيت ريبيل متوترة كأرنب وقع تحت نظر افعى، يعرف بأن اية استجابة سوف تسبب بموته، ماذا بالضبط كان يتحداها ان تفعله؟ ان تبرز خدعها الأنثوية في مواجهة رجوليته السريعة التأثر، خبرتها في مواجهة مهارته، بأن تغير عواطفه كما يعتقد بأنها اغرت عواطف باولو؟ كان نمر يتحدى فأرة. . . ولكن فأرة فخورة وعنيدة.

رفعت ريبيل رأسها وهي تقول له.

«انتم الرجال اللاتينيون تنبئون بالعاطفة الشديدة، ويبدو لي مع اخطار الغابات المحيطة بي، بأنك سوف تكون حكيماً بأن تتبع تعليماتي، وتوجه طاقات نحو التكامل النفسي».

قفزت على قدميها وخطفت كاميراتها، تحركت مسافة خطوتين عندما وضع يديه فوق كتفيها، يديرها لكي تواجه عبوسه الغاضب، واضح ان كلماتها قد اصابت الهدف.

«سواء كنتِ متجمدة او انك تبرزين صداقتك من اجل اجتذاب الرجال. . . فأنت لا تتركين لي اي خيار سوى بأن اكشف لنفسي الحقيقة كاملة».

فيما بعد، لم تستطع ريبيل ان تقيس التأثير الأكيد لقبلته على مشاعرها لقد لاحظت، بينما كان يقبلها، غيوم داكنة تتجمع في مكان واحد في السماء، ولكنها لم تكن مستعدة بعد للدفاع، ارتجاج الأرض تهتز تحت قدميها ذلك فقط يتوافق مع الانطباع العقابي لفمه.

غريزياً قربت نفسها من جسده العضلي، اصابعها تقيس

كتفيه، كان ذلك عطاءه، ، عفة بدائية فوق شفاهها والتي سببت لها احاسيس محيرة.

مبللين تحت المطر، سمعت ريبيل ضحكته تترددها السماء، تيقظت، تضرب كفها باصابعها، بينما كانت تنتظر بأن يقول عنها بأنها مبتدئة، ولكنه فاجأها بقوله.

«ان عاطفتك تحجر حاجاتك».

كانت لا تزال تشعر بوقع لمساته فوق جلدها، ولأثارة قبلته.

«عندما لا يمكن ان يتم التحكم بالعواطف، تصبح عندها خطيئة، سنيور».

«هناك قدرة على الخطيئة لدى كلٍ منا. . . الفضيلة والرذيلة شريكين متقاربين ومن الصعب فصلهم».

ارتعدت ريبيل من الغضب، التقطت كاميراتها ومشت بعيداً، ترغب في التقاط فيلم للنباتات المنتشرة حول البركة والتي تطفو على سطح المياه، معظم نباتات الغابة بدت وكأنها تغزو بحثاً عن ضوء الشمس، نبات ذات اوراق ملونة تصبح مجنونة، اوراق زهرة السوسن تضيء بواسطة زهرتها، وجذوع وقرميات من فطريات غير اعتيادية، بعضها على شكل نجمة، وبعضها مثل الصبير، وبعضها ترتفع عالياً مثل مظلات ملونة.

واعية لعينيه النافذتي الصبر ، ابتعدت وهي متوترة، توقفت للحظات شاردة، عندما تكلم قريباً منها.

«لا تخدشي» التقط معصمها وأضاف «ما الذي يزعجك، هل هي حكة ام لسعة؟».

ارتعشت من جراء لمسته عندما راح يتفحص قطرات دماء فوق جلدها.

«انها لا شيء».

عندما حاولت الابتعاد، ضاقت اصابعه حول معصمها، وبصمت، عانت من اقترابه وسمعته يقول «لقد لدغتك ذبابة صغيرة جداً، لا يمكن رؤيتها وتعيش قرب المياه، تعالي بعيداً عن الشلالات».

ضاقت عيناه وأضاف «في الحقيقة سوف نبرد كلانا اذا ما سبحنا، سوف تجدين اقصى البركة آمناً نظيفاً ومنعشاً تماماً».

- ١٠ -

بدت الفكرة جيدة يصعب مقاومتها، اومأت ثم ترددت وقالت.

«انا لا احمل ملابس للسباحة».

«ولا انا... ولكن بالطبع خلال اسفارك العديدة تعلمت بأن الراحة تأتي قبل المظهر؟».

لقد تعلمت، وفي اية ظروف اخرى، لما ترددت ابداً بأن تستحم، ولكن في هذه اللحظات، ومع ان البركة كانت آمنة، شكت بأن لا يكون هو كذلك. وبالرغم من انه لا يوجد قانون في الأدغال، كان هناك بين المستكشفين شيفرة أدبية من اجل حماية النسوة المرافقات.

«حسناً».

خضعت ريبيل، تثق بالغرابة في ان لويز مانشنت كان

www.rewity.com
مـــرمـــوريـــة

ايضاف مستكشف شريف.

«استدر ارجوك، بينما اخلع ملابسي... سوف اقول لك عندما اصبح جاهزة».

كانت المياه كما قال، ولمدة عشرة دقائق استقرت ريبيل في المياه تشعر ببرودتها، تنظف كل انش من جسدها، كانت حريصة ان تبقي ظهرها مواجهاً لرفقته المزعجة، واثقة بأنه لن يسترق نظرات الى جسدها العاري، المرئي تحت المياه، الشفية وسمعته ينادي عبر مسافة البركة.

«هل تحبين استعمال صابونتي».

«نعم، ارجوك... احب ان اغسل شعري» نبذت الشامبو خاصتها.

«لكي اوفر عليك الارتباك، سوف ابقي عيناي مغلقتان...».

ارتفعت الدماء حارة في وجنتيها عندما ادركت انه غطس تحت الماء وكان يتحرك الآن بأتجاهها، بيأس نظرت حولها، تبحث عن شيء يحميها، وبتنهيدة ارتياح خطفت ورقة نبات كبيرة جدا، عندما كان ما يزال الوجه الاسمر بادياً تحت الماء، حملت الورقة قريباً منها تماماً وقالت «تستطيع ان تفتح عينيك اذا ما اردت».

فتح عينيه بحيرة وقالت مضيفة «آسفة ان اخيب آمالك سنيور... الواضح انك تقرأ اكثر مما في دعوتي».

رمى الصابونة باتجاهها، حيث جعلها عصبية من حراء صمته، وقالت وذكرى كلماته ما تزال تتردد في رأسها.

«انا الفتاة التي لا تستطيع ان ترفع حرارتك، تذكر!».

عرفت ريبيل من صوت حركاته انه يترك البركة والآن اصبحت وحيدة، سبحت بحرية، قبل ان تغادر البركة.

وبينما كانت تحاول الوصول الى ملابسها عبست، خائفة من صف الوجوه البربرية البشعة التي برزت امامها فجأة من داخل الاشجار المتداخلة، وحاولت المحافظة على هدوءها حين رأتهم يأخذون طريقهم ناحيتها حيث صرخت بأعلى صوتها.

«لويز!».

ثم ركضت بسرعة الى المكان الذي رأته فيه لآخر مرة.

استجاب بخروجه من بين الاشجار حيث اصبح مواجهاً لها، ثم اهتز عندما اندفعت باتجاهه.

«لويز... لويز».

قالت بخوف، غير مدركة وهي خائفة بأنها كانت تناديه بإسمه.

«انهم يأتون خلفي... هناك بين الاشجار... جمع من المتوحشين الاشرار».

طوقتها ذراعيه وهي نصف عارية وسمعته يضحك وهو يقول «انك لغز محير يا عزتزتي، ان شجاعتك لا يمكن انكارها، حيث ان قوتك العظمى تقف في نداءك لنوبة الضعف الانثوية لديك!».

جففت حرارة الجو من رطوبة ريبيل، بينما كانت تتوارى خلف الاشجار الكثيفة حيث دفعها لويز مانشنت، وتلمست ملابسها وهي تستجمع شجاعتها قبل ان تعود الى الخلاء.

كان يقف وظهره لها، يحيطه المتوحشون العراة، اجسداهم ملونة بصور ورسوم حيوانات مختلفة، وبدوا مخيفين بالنسبة لريبيل كانوا يتحلقون حوله، يقبعون ويقفزون بوحشية.، ولكنه بدا هادئاً، كان حتى يشير، ويبتسم لهم بحرارة وبدت القبائل التي قابلتها هي ووالدها بعيدة عن هذه تماماً.

كانت هذه غريبة، لم يسكن منظر نظراتهم النارية التي جعلتها ترتجف بينما كانت تحضر نفسها ليقدمها لويز، ولكن نظرة لويز المحيرة.

كانت ردة فعل الهنود على وجودها مدهشة، وفوراً نظر اليها احدهم وتوقعت ردة فعل عدائية، ولكنهم اذهلوها نزلوا على ركبهم وانزلوا رؤوسهم حتى لامست الأرض.

«ماذا بحق السماء. . .؟».

قالت ذلك للويز، الذي شق طريقه من بينهم لكي يلاقيها.

«ان افعالهم ليست مثيرة للدهشة. . . حاولي ان تتخلي نفسك في مكان هؤلاء الرجال، يعيشون بين الاشجار، الارض والمياه، وحتى بضع سنوات مضت كانت المخلوقات الوحيدة التي اتصلوا بها هي الحيوانات، ولهذا فان ظهوري قد فاجأهم وجعلهم في موضع شك، ومع ذلك، فان احتكاكهم بعضو من جنس آخر لم يكن كافيا لتحضيرهم لرؤية شخص ذو بشرة شاحبة كالحليب شعر لامع ذو لون غريب، يرتفع من اعماق البركة ليظهر في عيونهم مثل الملاك الذي يؤمنون به، انهم يرونك معجزتهم

الخاصة، سنيوريتا».

سكت للحظات ثم اضاف «تجسيد لآلهة الأمازون التي عبدوها لقرون».

سارت ريبيل مع لويز عبر الغابة بحراسة الاشخاص الذين فؤجئوا بآلتهم تظهر ثانية.

«لا استطيع ان اصدق ان ذلك يحدث».

قالت ذلك وهي تمرر يدها فوق عيناها.

«كيف استطيع ان احيا في عيونهم كملاك؟».

«هناك نوعين من الملائكة» ذكرها بجفاء وأضاف «من اجل سلامتنا، اتمنى ان لا يشكوا بأنك لست واحدة من المخربين، وإلا فأن زيارتنا وبدلاً من ان تكون فترة ذات وقت قصير واحداث نادرة، ربما ستنتهي نهاية غير مشكورة ابداً».

كانت قرية القبيلة تحيطها اشجار الأدغال الكثيفة، كانت منازلهم كهيئة المركب ذات سقف من جذوع اشجار النخيل، ومنتشرة حول ساحة القرية، وكان هناك بلطات حجرية، قضبان صيد بدائية، اقواس من شجر النخيل وكذلك كان هناك قصعات كبيرة للطبخ.

وبينما اقتربوا من الساحة تجمع حوالي خمسين شخص من الأهالي وراء رجل ذو وشم حيث ان غزارة الرسومات والأشخاص المرسومة فوقه جعلته زعيم القرية، ثم رأته وبقية الأهالي يتراجعون بلهثة ريبة الى الوراء بينما كانت ريبيل تبتعد عن مكان مظلل لتظهر شاحبة كإلاه فضي في جوار رفيقها الاسمر ذو الشعر الداكن.

«ها نحن ثانية» همهم لويز مانشنت ثم اضاف.

«حاولي ان تتخذي موقف مبجل اذا ما استطعت، واشكري نجومك المحظوظة بأنك ولدت ذات بشرة شاحبة، عينين زرقاوين وشقراء، لأنك لو كنت ذات هيئة امرأة مختلفة لكنت معلقة على احد الاشجار القريبة.

«ما الخطب، سنيور؟ انك تبدو هادىء، هل ذلك بسبب انني تدبرت ان تسرق منك رعدك... ربما انت اعمى فيما يختص بسحري، ولكن الواضح ان الأهالي هنا ليسوا كذلك!».

«آسف، ان اخيب آمالك... ولكن اذا اعتقدت ان هؤلاء يرونك كرمز الأقوى، فأنتِ مخطئة تماماً، ان ذوقهم فيما يتعلق بالنساء هو كما يلي، الأثمن الأقوى، الأقوى الأحسن، جسدياً، تظهرين كما شريحة خوخ لرجل اعتاد على البطيخ».

- ١١ -

لديه القدرة دائماً على هزيمتها، في كل معركة، كلاماً كانت ام نظرات يزداد وضعها سوءاً، وبينما كان يقودها من اجل تحية رئيس القرية وجدت نفسها تتمنى ولو لمرة واحدة ان تحصل على الفرصة في ان تهزمه كما يفعل هو، ان تقلبه عن قاعدته.

ولكن مواهبه كانت خارقة، كان عليها ان تعترف بذلك، عندما بدأ يتحدث بطلاقة مع رئيس القرية، الذي بدا غير قادر على ابعاد عينيه عن وجه ريبيل الرزين الشاحب.

سيطرت على نفسها وهي تتبع تعاليم لويز مانشنت وحاولت ان تبدو هادئة، وشعرت ليندا بقوة نظرات الرئيس عليها فسألت لويز.

«ماذا يقول؟».

www.rewity.com مـرمـوريـة

«يتوقع من آلهته ان تشعر اقل برهاناً . . . ولكن الآن بما انه اكتشف انك من لحم ودم، يريد ان يعرف ما اذا كان جسدك قد تم تغطيته دائماً لأنك مختلفة عن النساء الأخريات، أم ان ملابسك الرجالية هي تذكير لي بأن الجنس من الآلهة هو محرم.

ارسل اللون الاحمر الذي علا وجنتيها نظرات تساؤل من اهل القرية حيث شكلوا حلقة فضولية حولها.

وبدون ارادتها بأشمئزازها في ان تبعدهم بعيداً، وعندما صفق الرئيس، توقف الأهالي على اقدامهم واختفوا داخل اكواخهم ثم حثّ بعض الطبول على القرع فيما الفتيات والنسوة مزخرفات بريش مطلي واحجار ذات ألوان مختلفة.

اشار لريبيل ولويز بأنه يريدهم ان يجلسوا، جلس الرئيس القرفصاء على الارض وكذلك اخذ بعض العازفين اماكنهم حول الحلقة، وبينما الطبول بدأت تضرب بخفوت، ومجموعة من الشباب والفتيات يرقصن داخل الحلقة حيث بدأت حركاتهم تزداد مع سرعة دقات الطبول.

جلست ريبيل وعيناها واسعتان، بينما كان يعبرون عن فرحهم بوصولها بأعلام لا يحتاج الى كلام، مستعملين لغة الرقص ليعبروا عن فرحهم، عجبهم وعشقهم العميق للآلهة التي شرفتهم بزيارة.

حدقت وعيناها تلمعان ناحية لويز وتفاجأت بأن تراه عابساً.

«لا يبدو انك تتمتع بالرقص، سنيور».

«انا لست سعيداً فيما يتعلق بمقدار العاطفة الحارة التي

يظهرونها» اعترف ببطء ثم اضاف.

«القبائل البدائية ترقص لتعبر عن موقفها العاطفي فيما يتعلق بحدثٍ ما تؤمن به كل القبيلة، في هذه اللحظات، يبدون متعاطفين مع ما حصلوا عليه، وبالنسبة الى منشدهم، فأن اللعبة سوف ترمي بنفسها فوق سهامهم، وسوف تخرج الأسماك اليهم، وسيكون هناك ما يكفي من الطعام يكفي حاجاتهم، حتى لو لم تتحقق هكذا امنيات. . . فأن فلسفتهم الطفولية سوف تقنعهم بأن اعطاء الوقت لآلهتهم سوف يحقق لهم المعجزة».

حدقت ريبيل فيه، محاولة استيعاب كلماته، وقالت بجدية وهي ترتعش.

«انت تحاول ان تجعلني مضطربة . . . هل تعني بأننا عندما نجهز للرحيل سوف نواجه صعوبة في اقناعهم بالسماح لنا بالذهاب؟».

«ان اي شيء له تأثير في تأمين طعامهم له اهمية رئيسية لديهم، بالرغم من ان الغابات تبدو مدهشة بشدة، وبسبب فقر الأرض والتربة، على الأهالي ان يبحثون بكل قساوة عن طعامهم، وكل ما يتدبرونه بعض حقول الاعشاب والخضار، نبات الموز والبلح وقليل من القطن والتبغ، الحظ بالنسبة لهم يتمثل في سمكة والتقاط ديك حبش يعتبر حظ كبير».

وبينما مرَّ الوقت وتوقف الراقصون واطفأت نار القرية، اشار عليهم ان يتبعوه، وقاد الزعيم الطريق امامهم، ثم اشار بفخر الى احد الاكواخ في اقصى القرية.

في داخله، كان هناك فتاة شابة تعقد خيطان قطنية حول جذوع احد اشجار النخيل، وقد انهت زوج من الاراجيح.

«هل تفضلين ان تنامي في الارجوحة العلوية ام السفلى؟» قال لويز ذلك بنظرة كسولة وهو يتمتع بالخجل الذي علا وجنتيها.

«لقد اوعزت الى الرئيس بأنك امرأتي، ولكن من اجل ان اتجنب ملاحظاتك فقد شرحت لهم بأن الآلهة التي تدعي الإنسانية، ترث كامل انواع البشر».

«ولكنك سوف تجد ذلك صعباً بأن تشاركني في كوخ واحد؟ اذا ما كنت لا تميل الى النوم مع الأهالي فخذ شرشف ونم في احدى العليقات».

انتظر حتى خرج الرئيس وكانوا وحدهم في الداخل، وتذكرت ريبيل ماذا كان يمكن ان يحصل لها لو لم تكن هنا الآن».

«مما انت خائفة؟».

هز لويز رأسها وأضاف «من العقاب؟ خائفة من ان يوم الحساب قد اتى، ولن تتمكني من الهرب هنا؟ لك وعدي، سنيوريتا، بأن لا تخافي مني... حتى لو كنا نتشارك في سرير واحد».

لم تصدقه احاسيسها المذعورة، ليس بعدما حرقت اثارة قبلته شفتيها، ليس بعدما سيطرت رجوليته على كامل المكان.

ولكن يبدو انه مصمم على البقاء! ويبدو انها لن تستطيع اخراجه بالقوة، ولم يكن هناك احد لتستعين به، إلا

اذا...!.

وحالاً حاولت تنفيذ ما فكرت فيه، ركضت الى مدخل الكوخ، وصرخت قدر ما تستطيع في اتجاه المخيم حيث استطاعت ان تتبين ظلال لمجموعة من الأهالي.

«ساعدوني، ارجوكم ساعدوني...!».

ان لغة المساعدة عالمياً تقريباً، وفي لحظات كان الأهالي يتجمعون، ينقلون نظرهم منها الى لويز والذي ظهر على باب الكوخ.

اشارت ريبيل بأصبع الاتهام الى لويز، ثم اشارت على الأهالي ان يأخذوه بعيداً.

«لماذا، انت تائهة ايتها الشيطانة، الصغيرة...؟».

وبغضب مشى ناحيتها بخطوات واسعة، تعابيره مخيفة وسمعها تقول بانتصار.

«اخيراً سنيور... وجدت طريقة لكي اجازيك على غطرستك، على اهاناتك واهمها على الخدعة المثيرة التي لعبتها من اجل ان تعاقبني على الطريقة التي تخيلت انني خدعت باولو فيها!».

ولكن خمس دقائق وحدهما داخل الكوخ، الداكن، كانت كافية لاقناعها بأنها كانت غبية تماماً، جلست على حافة الارجوحة، محاولة عدم الاصغاء الى الاصوات الخارجية، الضفادع الكبيرة قرب النهر القريب، وكذلك جرس الصمت والذي بدى يكبر تدريجياً.

في شيء واحد كان لويز مانشنت محقاً، لقد كانت تفتقد رفقة والدها، لأول مرة في حياتها كانت وحيدة في

www.rewity.com

مكان موحش وخطر يفوق كل الأماكن التي اكتشفوها. . .
في رفقته كانت اسفارهم بمثابة لعبة فرح مع قليل من الخوف والخطر، لقد كانت حقيقة الأمازون اكثر درامية مما تخيلت ريبيك وبينما استلقت في الارجوحة، شعرت بأنها تغرق عميقاً في وحشة غريبة وبأنها سوف تعلق ولن ترى مرة ثانية الحياة.

www.rewity.com
مرموريـة

- ١٢ -

ضجة عالية جعلتها تقف بعصبية على قدميها، هل كانت افعى تزحف نحوها في الليل؟ سيطرت عليها الهستيريا، يا لها من غبية في ان تسلم لويز مانشنت الى ايدي هؤلاء الوحوش، ماذا لو قاموا بأذيته قتلوه ربما!.

لم تخطر على بالها فكرة كهذه، علقت صرخة في حنجرتها بينما قفزت من الارجوحة ونسيت كل احقادها وركضت نحو الباب، في الخارج كان الصمت مخيماً، وبدأت تركض في اتجاه ساحة القرية، ولم تنتبه للظل الاسود الذي مال نحوها، ثم قبض عليها من كتفيها، عندما كانت على وشك الفرار، واغلقت اليد فمها، تخنق الصرخة في شفتيها، ثم همس صوت عميق مألوف في اذنها.

«من اجل السماء، حافظي على هدوءك! انه انا، لويز... في اي حال، لماذا تركضين خارجاً هكذا؟».

«لويز...!».

لهثت محاولة السيطرة على نفسها من الارتعاش الذي يهز جسدها.

«لقد كنت خائفة من ان يقوم الأهالي بإيذائك... لم يخطر على بالي ذلك عندما قمت بخدعتي الغبية! أوه، لويز، انا سعيدة جداً انهم اطلقوا سراحك».

شعرت بتردده، وسمعت لهثة دهشته، ثم رفعت فجأة عن الأرض واصبحت قريبة من صدره المثير.

«لم يكن هناك من حاجة بك لأن تخافي».

قال لها وهو يطمئنها، ومشى ناحية الكوخ المظلم.

«انني افعل ما يقوم به الأزواج في جميع انحاء العالم، لقد شرحت للأهالي بأن عراكنا لم يكن اكثر من مشادة بين حبيبين، ولقد برهنوا لي على حدسي بأن قالوا لي بأن اجرب حظي ثانية، انا سعيد انني انفذ نصيحتهم، يا عزيزتي ان الرجال يعرفون القليل عن النساء».

اعترف وهو يتنهد ويضيف.

«من الاعاجيب بأن جنس النساء قد التجأ الى الأمازون، حيث هي ايضاً يمكن ان تفتن وتشدد، تنعش وتنكمش، تثير، تغيظ، وتقسو، وعندما يعتقد الرجل انه يعرفها تماماً، يستطيع ان يقهر بشخصيتها المحيرة تماماً».

دخل الى الكوخ، عيناه الداكنتين تبحثان عن الارجوحة، ثم وبعد ان وضعها برفق داخلها تراجع وهو

يحثها بقوله «نامي جيداً، ايتها الأمازون الصغيرة... الارتباك الأعظم للرجل.

كان اليوم التالي منعشاً، ولكن ريبيل انتظرت حتى بعد الظهر عندما بدأت اشعة الشمس تميل، قبل ان تتناول كاميراتها وتذهب في اتجاه النهر، لقد ارادت ان تذهب وحدها، ولكن بينما كانت تغادر الكوخ، رأت لويز مانشنت يمشي باتجاهها مباشرة.

«الى اين انت ذاهبة؟».

عاين مجموعة الآلات التي تلتف حولها وسمعها تقول «هناك صور اريد ان التقطها للنهر، وفي هذا الوقت يكون الضوء ممتازاً» قالت ذلك وهي تتذكر بأنه امرها ان لا تذهب وحدها بعيداً عن القرية ورأته يمشي بجانبها وهو يقول.

«استطيع ان اذهب معك... غالباً ما درست الصفحات الملونة من كتب والدك، متسائلاً عن مهارة المصور وقدرته على اسر الموضوع، بتأثير رائع كهذا... يستطيع المرء ان يشعر بالصور حية، حركات الرياح والأشجار، بعض صورك كاملة لا عيب فيها حيث انني لا اتعب من النظر اليها، ربما انت لست بمستكشفة ماهرة، ولكن لا يمكن لأحد ان يشك بمهارتك في التصوير، اذا سمحت لي، فأنا احب ان ادرس تقنيتك، واعدك ان لا اعترض طريقك».

«بالطبع... انت لن تزعجني».

اكدت له بخجل وأضافت «في الحقيقة يجب ان انبهك

انني حالما اجد موضوع مناسب اصبح اسيرة عملي ولا انتبه لأحد حولي».

وبينما اخذوا طريقهم خلال الأدغال الخضراء، فوجئت وهي تكتشف بأنه كان مهتماً وعازماً بعملها، اختفى خجلها كلياً بينما ركزت على تقديم معلومات وشروحات لأسئلته الذكية وقالت بجدية.

«مع ان هكذا موضوع يبدو جميلاً... ولكنك لا تحصل في نتيجته احياناً على صور جميلة، هنا جزء كبير يعتمد على مدى قدرة المصور على التحكم بكاميرته، هذا العصر احب ان اتخذ صوراً تغطي انطباع عن سقوط المياه المتلألىء فوق من خلاف الأوراق المرقطة، ولكن اذا اردت ان احقق تأثير رقيق عليَّ اولاً ان انظم الكادر بحرص لكي يأتي سقوط المياه تتمة لخلفية الاوراق...».

«وكيف تتجنبين الخطأ في عدم جعل الاوراق تغطي على الموضوع الأساسي؟».

«بواسطة وضع الكادر في العناية القصوى، وكذلك تقطيع الصور بحيث تبقى الصخور واوراق النباتات حادة، هذا هو السر في إحضار مشهد من الحياة، معظم الصور التي التقطها جاءت عبر كشف مضاعف، ولقد كان هناك لدي في التصوير تجعل الاوراق وكأنها ترقص فوق الأشجار. الأزهار تبدو وكأنها تنحني وتترنح فوق الاعشاب، هذا هو الأسلوب الذي انوي ان انفذه الآن...».

فجأة ادركت كم كانت هائجة، اطرقت لكي تعتذر وهي

تحمر خجلاً.

«يجب ان تعذر سرعتي هذه... ليس هناك اكثر مللاً من الاصغاء الى شاعر يتلو اشعاره».

«يا لك من مجموعة متناقضات... ان لك الكثير مما هو مشترك مع شعب الأمازون، سنيوريتا، النهر الذي وبسبب روافده التي تفيض احياناً ليس دائماً هو نفسه».

وبالرغم من رفقته وملاحظته عملها، كان هذا اليوم من افضل الأيام التي صورت فيها، وبدا سهلاً ان تعجب بالجمال البنفسجي لما يحيط بهم وتجاهل الأخطار المحدقة.

عندما ارتفعت حرارة الظهيرة، ارتاحوا لفترة، حيث فرش لويز شرشف صغير قرب النهر، متأكداً من خلوه من النمل قبل ان يبدأ بجمع غصون اشجار الموز جاعلاً منها مجلساً لهم.

لمدة قصيرة جلسوا صامتين، وخرجت ريبيل من احلام اليقظة على صوت عواء كان بعيداً في الغابة.

«فقط تحذير القرد يمكن ان يكون معتدي لكي يبعد الوحشة عنه».

هزت رأسها، محاولة معرفة مصدر الصوت والذي بدا أتياً من وراء رأسها.

«اليس هناك حيوانات ضخمة في الغابات؟» قالت ذلك وقد ادركت فجأة بأن المخلوقات الوحيدة التي شاهدتها كانت الحشرات، الطيور وبعض الزواحف الصغيرة.

«قليل جداً» اجابها وأضاف بعد قليل «وهذه توجد في

اماكن بالكاد يمكن ان ير احداها شخص ما، ولهذا تلاحظين ندرة حصول الهنود على اللحوم، ان سبب ندرة الحيوانات بسيط وهو انه لا يوجد ما يكفي من طعام لها، الحيوانات الوحيدة التي تحيا هي التي تتكيف مع ظروف وشروط الأقليم بجعل بيوتها في اعالي الأشجار، أو على طول ضفاف النهر حيث الضوء والطعام.

«انت تعني ان اكثرهم يعيش هناك؟».

نظرت عالياً الى سقف الأدغال ووجدت القرود تتسلق من غصن الى آخر.

«حتى النمر الأميركي والبوما بالكاد يمكن رؤيتها، في الليل تمتلىء الأدغال بزئير القطط البرية، ولكن بعد حين، انا غالباً ما اتساءل...؟».

- ١٣ -

فوجئت ريبيل من وجهه الأسمر، وقساوة تعابيره عندما تابع بعبوس.

«بعد وقت قليل، وربما غداً، كما الهنود سوف يتم نقلها ارهاقها ثم تحطم اخيراً بواسطة ظلم الإنسان».

انقطع نفسها في لهثة بينما درست تأثير افكاره.

كوروبيرا، الرجل المتوحش، حتى الآن كانت تعتبر اللقب درامي كثيراً فيما يختص بالسنيور البارد والذي يبقي لجام مشدود فوق عواطفه، والآن شعرت بقوة غضبه الداخلي، قوة اعتباره لشعب هذه الأرض، وبعواطف مشتعلة بقوة، لويز مانشنت يستحق ان يلقب بالرجل المتوحش.

«انك تعتبر هجوم الحضارة على هذه الأرض خدعة اكثر

www.rewity.com مرموريـة

منها منفعة؟» تعاطفت معه، ثم امسكت انفاسها، تتحضر لانفجار سخطه، ولكن وقع اجابته كان اكثر تأثيراً حيث قال.

«انها مأساة، بدون شك».

اخبرها ببساطة وأضاف «جريمة ضد الشكل البسيط الوحيد للإنسانية، فقط من اجل ارضاء غرور الإنسان في الثروة، لقد تم اغتصاب الأمازون، وجرد من نقاوته، لقد داس الغزاة والذين لا يستحقون اكثر اماكنه خصوبة وابداعاً، ولكن مطر الغابات لن يكون قادراً على الزراعة... وكما تم اثبات ذلك مرات عديدة، فأن الهنود الذي كانوا يزرعون الغابات ولمئات السنين، ومع ذلك فأن الخراب قد استمر، الآلات والشاحنات تقطع طرقات الأمازون، ومئات الأميال من الغابات قطعت وحرقت من قبل الإنسان الذي يرفض قبول فكرة ان الأمازون لا يمكن تدجينه، وبأنها تفضل ان تموت بدل ان تخضع الى تحقير العبودية».

حدقت ريبيل بدون ان تتكلم، تحسد الأمازون على عاشقها العاطفي، تتساءل باشتياق كيف يمكن لامرأة مصنوعة من لحم ودم ان تأمل في ان تنافس في الحصول على حب الرجل، التي تمتلكه عشيقته هذه كلياً.

«انك تشير الى الأمازون وكأنه امرأة... المرأة الوحيدة التي احببتها».

ابتسامته جعلت قلبها يضرب بقوة، واعترف بشجاعة.

«شيء محبوب اخاف ان افقده... ان ما يجعلني ممتناً

هو ان نتائج عملك سوف تساعد في حفظ ذكراها».

ومع الوقت، اخذت ريبيل صور كافية للمنظر الذي قررته، كانت السماء تظلم والرياح تهب، مسببة برودة مفاجئة، وعندما اقترح لويز بأنه آن الوقت للرجوع، ولكن ريبيل سمعت صوت تساقط مياه.

«هل لنا ان نتقدم قليلاً... اعتقد انني اسمع شلالات قريبة».

ومن اجل راحتها لم يعترض، وانما اشار الى قارب يرسو على ضفة النهر.

«علينا ان نستعمل هذا... انه يبدو بدائي، ولكنه آمن، يمنعك من ان تهزي القارب تذكري».

لم تريد ريبيل ان تهز القارب، وبدا ان علاقتهم قد بدأت تصفو، مرة او مرتين ناداها ريبيل بعفوية، ولقد حاولت ان تنطق اسمه.

وكرجل وجدته مثير للغاية بالحقيقة، لأول مرة في حياتها بدأت تحلل مشاعر الارتباك، الخوف والاثارة في كونها مع انسان من الجنس الآخر، لفتاة حرمت من انت تلعب بألعاب الأطفال حتى، كان من الصعب ان تستنتج انها واقعة في الحب... في الحب مع رجل والذي اختبر في اكثر من مناسبة اختلافها الكامل.

ومع ذلك، عندما اصبحوا فوق المياه رأت ريبيل العالم اكثر عظمة، اكثر اتساعاً، واكثر اثارة، لا بد ان سعادتها قد انعكست في عينيها، حيث انها عندما استدارت بحثاً عن كاميرتها التقت بنظرته السريعة وشعرت بسعادة خفية.

«جذف قليلاً قريباً من التيار».

رجته ريبيل، ويداها تهتزان بإثارة، بينما ركزت كاميرتها فوق المياه الداكنة المظللة، بدأت تصور المشاهد، من كل زواية قبل ان تضعف اشعة الشمس الغاربة.

«احترسي، ريبيل!».

لويز! صرخة تحذير اتت متأخرة لكي تمنعها من الانحناء فوق زاوية حادة جداً، حتى عندما صرخت انقلب القارب، مغرقاً اياهم في المياه.

كل ما فكرت فيه ريبيل هو سلامة كاميرتها، وبيأس ضغطت يد واحدة فوق المياه، وهي ترفع الكاميرا بينما كانت تضرب بيدها الأخرى للوصول الى ضفة النهر، ولكن عندما التقطتها يد خشنة، استرخت وطافت على سطح المياه بينما لويز يجرها الى المياه الضحلة، وبعد ان وصلت الى حيث سحبها سمعت غضبه ينفجر.

«ايتها الغبية الكبيرة، كيف تستطيعين ان تجازفي بحياتك من اجل موضوع تافه، لو لم اصل اليك في الوقت الملائم، لكان آخر ما رأيته منك يد تحمل كاميرا؟».

لمع شعره الأسود كما الغيوم السوداء فوق هيئته المهيبة، وفكرت به كقط بري وهذا التفكير جعلها تضحك.

وضحكت عالياً حتى لاحظت عبوسه فقالت «أوه، لويز آسفة اذا اخفتك، ولكن ليس هناك من حاجة لأن تبدو هائجاً... ان كل ما تعاني منه هو الضيق».

ثم احست ريبيل بأن السماء، الأشجار والماء انفجرت حولها عندما التقطت وهزت بقساوة حيث شعرت برأسها

وكأنه سوف يقتلع من كتفيها، الضربات التي سمعتها اختفت فجأة، تبتلعها حرارة غضبه وسخطه.

«اليس لديك احساس من الشرف؟».

مشت قليلاً محاولة اقامة حاجز بينهم.

«هل انت مدرك لدورك هنا؟ لقد عشت طويلاً بين هؤلاء الشعوب؟».

هزت كتفيها محاولة ابعاد الألم الذي سببته اصابعه.

«انت تحتاج ان تكون ساخراً بين حين وآخر، فقط من اجل تذكيرك بأنه في البلاد العميان يكون الرجل ذو العين الواحدة ملكاً».

«مثلك، سنيوريتا، تحتاجي ان يقوم احد بتذكيرك لأن تتصرفي كما يتوقع من الأمرأة ان تفعل، بدلاً من التصرف كولد يفضل البنطال على التنورة».

حاولت ان تخفي دموع الألم، كانت قوة ردة فعله لما ستقوم به سريعة، كان واعياً لها.

ربما لو كان اسمها يدل على البصيرة لكانت ترددت في ان تتهكم عليه.

«على كل الرجال ان يتدربوا على الاحتمال».

«كما على كل النساء ان يتعلمن كيفية البكاء».

وشعرت بكتفيه القاسيين يسحبانها على جذع الشجرة، ربما غفرت مع الوقت قبلته الأولى.

امواج من الثورة والاستجابة حذرتها بينما كانت ترتعش تحت لمسة الرجل الخبيرة والذي لا يقف في وجهه اماكن سرية، مستكشف قاسي مصمم قوي وذو حكمة شديدة.

ثم، وبينما صارعت ضد قبلاته المثيرة، شعرت بجسدها يرتعش وسمعت انفاسه تتسارع، ولاحظت بأنها كانت تستجيب له وكان كلٌ منهم يلعب دوره، المعرفة جعلتها ترتاح، انه يحبها! انه يريدها، بدون شك ليس من اجل اثبات تفوقه بل لأنه لم يعد قادراً على كبت عواطفه ومساعدتها!.

- ١٤ -

اطلقت صرخة صغيرة من المتعة، وذابت وهي تضغط بشفتيها الخجولتين فوق فمه القاسي، وبتنهيدة تشبه الزمجرة ابعدها عنه.

«يا إلهي، سنيوريتا انك تفاجئينني، انا لم اتوقع ان يلاقي التحدي الذي اعلنته نشاط واندفاع كهذا، اولاً واجهت عرض من السباحة العارية من اجل اثارة شهيتي، ثم جوع جسدي يهز قدرة الرجل، للحظات وجدتك جذابة، ولكنني تذكرت الرجال وهم يتحدثون ويعلنون بأن ليس هناك شيء كما امرأة غير جذابة في اعماق الأدغال!».

مسحت ريبيل نقاط العرق عن عينيها، كانت تأخذ طريقها الى حافة النهر مع رزمة من الغسيل، ليست المرة

www.rewity.com
مـــرمـــوريـــة

الأولى التي تحسد الأهالي على عريهم، والذي يجعل حاجة الملابس تافهة، لقد احضرت جهاز واحد معها الى الأدغال، والذي يعني بأن ملابسها سوف تحتاج للغسل كل يوم بسبب الحرارة والرطوبة من اجل ان تنعش ملابسها.

لم يكن غسل ملابسها ناجحاً بسبب فقدان الصابون... ان الصابونة الوحيدة التي كانت معهم استهلكوها للغسل الشخصي... ولكن على الأقل فأن مجرد الغسل سوف ينظف ملابسها.

لويز قام بما يريده ويحتاجه، وكان يفاجئها بظهوره الدائم، منذ عراكهم من حوالي اليومين، بقي الجو بينهم جافاً، لقد خرج تلك الليلة من الكوخ بدون اي توضيح، تاركاً ريبيل لتنام وحدها مع ظلال سوداء، لأنه يشك بوفرة حاجات الهنود كان يقوم هو بطبخ الوجبات لهم، ولكن يأكل منفرداً، ولذا لم يتبادلا احاديث طويلة منذ النقاش الذي ترك مشاعرها مهروسة كما زهرة اقتلعتها الرياح.

ولهذا كانت مشوشة عندما ركعت على ركبتيها فوق ضفة النهر ورأته يقف فوق مقدمة القارب يحرك المياه بعصا طويل، باحثاً عن السمك.

كان قد خلع قميصه، ولا ارادياً كانت عيناها تحمل الاعجاب لعضلاته المفتولة تحت جلده الذي يلمع داكناً كالهنود، بينما كان يسحب القارب ناحيتها.

«صباح الخير، سنيوريتا».

كانت تحيته مختصرة، ثم شعرت بغياب الموقف الذي ذكرها ولليومين الماضيين بذكرى قبلاته.

«هالو» قالت وهي تمزح.

«هل تريدين مساعدتي في التقاط بعض الاسماك».

«نعم، ارجوك... سوف انهي غسل ملابسي اولاً، اذا استطعت فسوف انشرها فوق العليقات لتنشف».

لم يظهر اي اشارة تذمر، انتظر لويز حتى انتهت، ثم ساعدها في تسلق القارب، وقال وهو يساعدها ويشير لها الى سلة مصنوعة من القصب.

«في هذه اللحظات هناك غزارة اسماك في النهر، ان الأسلوب البدائي في الصيد يعطي نتائج مذهلة، عندما احرك المياه الضحلة بهذه العصا سوف تخاف الاسماك وتطفو على السطح، فاستعدي لالتقاطها بالسلة التي بقربك».

ولدهشتها، كان للاسلوب البدائي سحره، في البداية كانت متيقظة، ولكن بعد فشل واحد أو اثنين، نجحت في غرفة سمكة من الحجم الوسط والتي جعلتها تصرخ فرحاً بينما كانت تراقب تململ السمكة في قعر السلة.

«انها صالحة للأكل، ألا تعتقد ذلك؟».

قالت، وعيناها اللامعتان تجعلانه في سرور خفي.

«اجل، انها صالحة للأكل، لقد رأيت الأهالي يأكلون اسماك شبيهة لها... ولكن ارجوك ان لا تسأليني تسميتها، لأن نهر الأمازون يحمل مئات الأصناف، حيث هنا يجدون دائماً أصناف جديدة لم يتم اكتشافها».

«اذاً على الأقل ليس هناك من خوف في ان يجوع الأهالي».

«لسوء الحظ، غالباً ما تفشل عمليات الصيد، وكثيراً في الطقس الممطر».

وبينما حاول توجيه القارب في اتجاه آخر... عندما يحدث ذلك... ركزت تفكيرها على ما كان يقوله.

«ان مجتمع الهنود في محاولته جذب السمك بواسطة رميه حجر سحري في المياه، او بأستعمالهم الأسلوب الأكثر تأثيراً في ضرب سياج مع نبات سام والذي يجذب المياه، حيث يموتون، ويغرفونها في السلال حين تطفو على السطح».

وبعد حوالي الساعة من المتعة، حصلت ريبيل على ما يكفي من الأسماك، كانت سلتها في المياه، عندما صدمت وهي تلعن بحدة، ورأت لويز يتخلى عن العصا ويلتقطها من معصمها، ساحباً اياها من الماء.

«ماذا بحق السماء...!».

قالت بذهول وهي مصدومة من سرعة وقوة تصرفه.

«انظري هناك».

اوماً، وتعابيره اكثر عبوساً.

وبطاعة حدقت في الاتجاه الذي اشار اليه وارتجفت عندما رأت ما يظهر على انه افعى كبيرة تأخذ طريقها في المياه، كان طولها حوالي ستة اقدام، ونظراتها تحمل تعابير شيطانية.

«أوه... انها تثير السخط».

«تقدمي... انها حناكيش كهربائي. واذا ما كنت قد لامستها فأنك سوف تفقدين وعيك من جراء الصدمة».

سرت رعشة في جسد ريبيل، وفجأة ذابت متعة الصيد، وكل ما ارادته هو ان تعود الى اليابسة... ان تعود في الواقع الى أمان المنزل، حيث النباتات والزهور يمكن ملامستها دون التفكير في السم الذي لا تحمله، وحيث ضجة الحيوانات الوحيدة تأتي من نباح الكلاب وحيث يعيش الناس في المنازل حيث النساء تطهو الطعام لأزواجهم وتحضر الأطفال، هذا النوع من البيت لم تعرفه ابداً. ولم تحب ابداً ان تعرفه.

وجه لويز القارب في اتجاه ضفة النهر، وبينما ساعدها على الترجل منه كانت نظرته حادة عندما قال.

«ما الخطب، ألا تشعرين انك بخير؟».

ابقت رأسها منحني، رموشها تغطي عينيها وعرفت بأنها تعكس ألم ويأس افكارها وهمست بضعف.

«اعتقد ان زيارتنا قد خدمت هدفها، متى سنعود الى ديارنا؟».

سكت لوقت طويل قبل ان يجيب.

«اذاً لقد قررت بأن القليل الذي عرفته عنا يعتبر كافياً... كافي ليمنعك من معرفة المزيد! حسناً، سنيوريتا».

اصبح صوته اكثر جفاءاً.

«سوف افحص درجة حرارة المياه، واريد ان اعرف ردة فعل زعيم القرية».

«هل تعتقد بأنه سوف يمنعنا من مغادرة المخيم؟».

«ألم تلاحظي، ايتها الإلهة الشابة... سيدة الغابات؟».

www.rewity.com

وبكره عبر عن سخريته مضيفاً «بأنه منذ وصولك تمتع الأهالي بوجودك، وحتى اصبحوا يعتقدون بأن النبات الصالح للأكل بدأ ينمو بوفرة؟».

عندما وصلوا الى القرية، تركها لتحضر وجبتهم، بينما ذهب باحثاً عن الزعيم، كان قد قام بتنظيف الأسماك، ولم يبق على ريبيل سوى ان تلفهم بأوراق سميكة ووضعهم على حجر واسع ذو حرارة، ومن ثم حضرت شرحات من ثمرة الافوكاتو.

- ١٥ -

عاد لويز بينما كانت تنقل السمكة الى صحون، جلس وقبل حصته برضى، مع ان الأخبار التي كان يحملها كانت مزعجة.

«ان الرئيس غير راضي».

اخبرها بأختصار، مركزاً على الوجبة امامه، انتظرت ثم نفذ صبرها وسمعته يقول.

«ان طعم هذه السمكة جيد».

وضعت صحنها جانباً، غير قادرة على الموافقة، تعد نفسها بأنها حالما ترجع الى الحضارة، فأنها لن تأكل السمك ثانية، ودفعت شعرها الى الوراء وهي تقول.

«ماذا تعني بأنه غير راضي؟ هل الرئيس مريض؟».

عرفت عندما نظرت عيناه الحادتين الى وجهها انه لم

www.rewity.com مرموريـة

يعرها اهتمامه.

«لا، انه ليس مريضاً... ان ذلك صعب شرحه، ولكن اعتقد الأفضل لي ان احاول ان زوجة الزعيم على وشك الولادة، ويعتقد الهنود بأنه من المهم ان يتظاهر الوالد بأنه يقوم بالجزء المتعلق بالأم، ان المعتقد يسود بأن سلوك الوالدين قبل وبعد الولادة، يؤثر على الطفل، وهكذا فإذا تناول الوالدين لحوم حيوانات معينة فأن خصائص هذه الحيوان سوف تنتقل الى الطفل، واذا تناول الوالدين لحم البوما فأن الشجاعة والقوة سوف تكون صفات ولدهم».

وكأنه انتظر منها ان تسجل عدم اعتقاده، كان قد خاب ظنه، اتسعت عيناها الزرقاوين... ولكن الإثارة كانت السبب، وبسرعة اخبرته.

«لقد سمعت والدي يشير الى العادة عندما يقوم الرجال بتبني دور الأم لفترة من الوقت، بالنسبة اليه، ولكن هذا تدريب غير متصل بالأمازون فقط، سنيور، لأنه كان معروف منذ اجيال بأن الآباء البدائيين في اجزاء عديدة من العالم بأن يخضعون الى شروط معينة في الطعام والمعاملة في بعض الأحيان، ويتابع الوالد استلقائه بعد ولادة الطفل، حتى عندما ترجع الزوجة الى واجباتها بعد الولادة، كم سيكون رائعاً اذا ما تمكنت من تصوير مهرجان الولادة! ان ابي سوف يكون مسروراً، اذا ما تمكن في كتابه الأخير بأن يزوده بأدلة عن بقاء هذه التقاليد».

«اشك بأن يسمح الأهالي بحضور المرأة المفترض انها الآلهة خاصتهم...» عبس لويز وأضاف.

«ان جوهر العمل هو للوالد حيث انه يجذب اهتمام ارواح الشياطيين بأدعائه انه الأم، ان امرأة ضعيفة معرضة اكثر للمؤثرات السحرية، لذا ففي حال ظهور الشيطان فسوف يجد نفسه في صراع مع رجل صحيح البنية، وهكذا من يعرف ماذا ستكون ردة فعل الزعيم اذا ما وضعت الكاميرا في مواجهته؟ لا!».

توقف على قدميه واضعاً حد للمحادثة بقوله.

«لا استطيع ان اسمح بذلك! عليك ان تنبذي الفكرة من رأسك، سنيوريتا، انها مخاطرة حقيقية».

أوامره القاسية جعلتها اكثر تصميماً على تجاهل نصائحه، ولكن عندما تركها ان تسير عبر القرية لم يخطر على باله بأن تعابيره كانت قناعاً مبهماً.

كانت مدركة تماماً بأن حياة المتوحشون منظمة بواسطة مبدأ التحريم، وبأن فترات محددة واحتفالات مثل الولادة، الزواج، والموت، الاحتفالات السرية يجب ان تكون محصورة، ولكن كان هناك فرصة في تنفيذ ما تريده، فكرت بذلك بينما كانت تتبع خطوات لويز باتجاه القرية، في حالتها هذه ربما يتحضر الأهالي لقبول ذلك لأنها بالنسبة لهم كانت آلهة، روح الغابة التي تتخذ شكل انسان.

تنهدت ريبيل تتمنى لو تستطيع محادثتهم بلغتهم حيث تستطيع ان تبعد وحدتها كما خوفها، ولكن حتى محاربيهم الشجعان الذي لا يترددون في مجابهة الأسود او النمر بأقواس وسهام من القصب من اجل حماية انفسهم واقتربت

وهي تدنو من ام شابة والتي كانت تقوم بغسل ولدها بمياه باردة، كان الولد يضحك بفرح، وانضمت اليه ريبيل لا ارادياً، رفعت الأم رأسها عالياً، ثم بنظرة رعب حملت ولدها وركضت الى كوخها الصغير.

مرفوضة من جانب، وشاعرة بأنها معزولة اكثر من ذي قبل، راحت ريبيل تنظر داخل كل كوخ ولم تهتدي الى كوخ الزعيم، كادت ان تنهي رحلتها الى القرية عندما استرعى انتباهها طفل صغير منهمك في لعبة دون ان يلاحظ وجودها، كان هناك عنكبوت كبير يزحف على الأرض حول قدميه، كان ينظر اليه وهو يركع، يحكم على هدفه بينما سهم في يده، ثم صوبه في اتجاهه، وبكل فخر الصياد الماهر حدق بإعجاب في السهم الذي اصاب العنكبوت بضربة قاتلة.

«براڤو».

صرخت دون تفكير، تظهر بإعجاب عن طريق التصفيق.

وبدلاً من ان يتصرف الولد كباقي الأهالي، نفخ صدره وعبّر عن فرحه، ثم جحظت عيناه، بحثاً عن مصدر الإعجاب، الإلهام قاده الى كوخ قريب، وعندما وصل الى بابه، نظر من وراء كتفه وكأنه فضولي ومدرك بأنها سوف تتبعه.

لبت ريبيل نداءه الصامت، بأن اقتربت بما يكفي لتنظر الى الداخل ورأت داخل الكوخ وقد امتلأ برائحة قوية حيث استطاعت ان تميز مجموعة من النسوة يركعون قرب

امرأة تستلقي على الأرض، والواضح انها في آخر عملية الولادة.

ابتعد الولد، ولكن ريبيل وقفت ساكنة مسحورة من مشاهدتها الأولى لطفل يخرج من رحم امه، مع صرخات الفرح التي اصدرتها النسوة المساعدات، بعضهم يخدمن الأم، وبعضهم الآخر يغسلون القادم الجديد، وبعد لحظات انكشف الغموض الذي اكتنف الدخان، عندما اصدر المولود سعال مسموع، واستجابت النسوة بأن تفوهوا بغناء غير مفهوم وفهمت ريبيل معنى صغير وهو «حيث يذهب الشيطان».

في حال سبب وجودها جفاف وراء هذا الحدث السعيد، ورأت بأن هذه التجربة تركتها وألم يضرب داخلها، وهي تأخذ طريقها الى كوخها حيث رأت لويز ينتظرها.

«اين كنتِ؟».

عيناه الداكنتين تتساءلان حول الكاميرا المعلقة فوق كتفها.

«اراقب معجزة».

اجابت ببساطة، وعيناها تحملان الإعجاب وأضافت «لقد تمتعت بأمتياز في رؤية زوجة الزعيم تلد طفلها...».

رأت شفتيه ترتعشان ولكنها اضافت «كان ذلك رائعاً... نتيجة رائعة وجميلة لزواج عن حب».

«الولادة عملية طبيعية معجزة، سنيورينا، كلاهما الإنسان والحيوان يعطيان الحياة في كل دقيقة وساعة

ويوم».

«كم انت مثالي لتمزج الحيوان مع الإنسان... ان الحيوانات تتجامع بالكاد لتؤكد وتواظب على جنسها، بينما البشر واطفالهم هو تعبير عن حب الوالدين، ان العلماء سريعين في تفسير عاطفة كالجنس، ولكن الحقيقة هي ان الحب عاطفة، اعمق واكبر من ان يفهمها رجال باردين امثالك».

«اذا كنت تقدمين نفسك، فأنا اعتقد انك مجنونة».

«لقد اتهمتني مرات عديدة بأنني متناقضة، سنيور...»

- ١٦ -

طول النهار كانت الطبول تقرع، وكانت ترجع اصدائها في رأس ريبيل «انها تشبه ضربات قلب العملاق» اخبرت نفسها وهي تدفع خصلة من شعرها الى الوراء، كان الجو حاراً، صعب الاحتمال كما الذي بينها وبين لويز، والذي جعلته ساخطاً، طوال الصباح كان يطوف بالمكان كما النمر مع غضب مكتوم.

«الن تتوقف هذه الضجة؟».

«ليس دائماً يقوم هؤلاء الشعوب بالاحتفال».

استدار لكي يعاقبها ببرودة.

«ان الطبول تنشر بشائر جيدة وتنقلها الى قبائل اخرى في نفس المناطق، تخبرهم بأنه بعد انجاب عدة بنات، حظي الزعيم بمولود ذكر اخيراً، وكذلك يرسلون الدعوات

www.rewity.com مرموريـة

الى عيد سوف يتم اليوم على شرف آلهتهم البيضاء المخلوقة الخارقة والتي ينسبون معجزتهم اليها».

عندما تحرك بعيداً، وكأنه يحضرها ليوم آخر من العزلة، رجته بعصبية.

«هل تمانع في انضمامي اليك، انا لست معتادة على اطالة فترات الركود، ان ذلك سوف يقودني الى الجنون».

«اعتقد بأن ذلك غير ممكن».

رفضه كان على درجة عالية وأضاف «ان الأهالي سوف يصدمون في حال اصطحابي امرأة الى بعثة الصيد... انهم بالطبع غير مدركين لمهارتك في لعبة التعقب».

كان اصرار لويز حاداً في ان باولو كان اساء الى عمله، وقد وعدت ريبيل نفسها بأنها سوف تدافع عنه، وبأنها سوف تفعل المستحيل من اجل ان يغير هذا الرجل رأيه، ولكن الغريزة حذرتها بأن تنتظر حتى يأتي الوقت الملائم.

«مؤسف».

قالت بصوت عالي، محاولة ان تظهر نفسها بأنها استسلمت، ثم قالت «ان اسلحة الصيد هي اسلحة الحرب... هل تراني كعدو عندما توجه سهامك السامة؟».

انني اوظف السموم كترياق للأمراض، ان ارجع نفسي الى مؤثرات الغش التي ساعدت على عرقلة باولو!».

تركته ريبيل ومشت عبر المخيم مع كاميرتها الملازمة لها، مصممة على تصوير الرجال وهم يحضرون سهامهم للصيد، كان ما يزالون غير متأكدين من نواياها، ورأت

ريبيل بأن السم الذي كانوا يستعملونه كان علاجي والذي يستخرجونه من بعض نباتات الغابة من قبل نساء القبيلة، ثم يستخرجون السم الصافي تماماً.

عندما رأت رحلة الصيد تاركة القرية خالية سوى من بعض النسوة والاطفال محاولة ابقاء عينيها مفتوحتين لأي اشارة عن اخبار الزعيم الذي لم يترك القرية حتى انجاز كافة الطقوس التي تحمي ولده الى الأبد.

ترددت، انتظرت مع نفسها بينما رأت عدد من النسوة يقومون بحركات على الأرض لا تعرف معناها، حتى استقامت النسوة لإظهار حصيرة مصنوعة من ورق الأشجار ثم لفها لتصبح على شكل عباءة.

وحالاً ظهرت نتيجة عملهم، عندما بدأت النسوة يركضن وهن في حالة ضحك ويدخلون الى الكوخ حيث انجبت زوجة الزعيم ولدها، وظهروا مع الأم الضاحكة، التي استسلمت لهم في دفعها وهي تسجل فيلم عن احتفال التطهير الذي كان جوهرياً قبل ان تقترب المرأة من زوجها ثانية، اجتمعت كل نساء القرية على ضفة النهر، ثم حمل عدد منهم زوجة الزعيم الى الماء حيث قاموا بغسلها، ثم عندما اعادوها الى اليابسة قاموا بتدليكها بزيت جوز الهند، حتى بدا جسدها ناعم ولامع، ثم مشطوا شعرها وشبكوا فوقه الأزهار، قبل ان يكسوها بالعباءة.

عندما عاد لويز بعد ساعات، وجد ريبيل تنسخ الفيلم وتضعه في علبة لتحميه من الرطوبة حيث شعر برضاها الداخلي.

«هل حظيت بيوم عمل؟ الست في خطر في اخراج الفيلم. . . يبدو انك كنت تعملين منذ يوم وصولنا؟».

«بقي لدي فيلم واحد فقط. . . وانا احتفظ به ل. . .».

«. . . لماذا؟» قال ذلك وعيناه تضيقان بخطر.

«أوه، فقط لأي شيء مهم ممكن ان يحصل».

في حال قرر ان يبدأ توبيخها مجدداً، فأنها سوف تكون اكثر تقبلاً له.

«كيف كانت رحلة الصيد. . . ناجحة؟».

«جداً. . . لقد اصطدنا زوج من الغزلان، ولاحقاً تستطيعين ان تتناولي لحم الصيد».

بدا مرتاحاً وفي نفس الوقت مبتهجاً، وكأن اثارة البعثة، والشجاعة القوية لرفاقه المتوحشين حررته من التوتر وجعلت عروقه تنبض بالحيوية.

«هل عليك ان تجعل من هكذا مخلوقات بريئة ضحايا؟».

«انه قانون الأدغال».

هزَّ كتفيه وأضاف «على الضعيف ان يستسلم دائماً للقوي، في اي حالة. . . ان ايامهم معدودة، حيث اننا ايضاً نقبض على البوما الذي يتأهب للهجوم، اذا كان ضميرك يعذبك، فعليك تعزية نفسك بفكرة انه على الأقل فأن سهامنا تحررهم من ألم الأنياب الذي ينهش حناجرهم.

لم يتأثر بارتعاشة التبدل، حيث ارتد الى سؤاله السابق.

«اخبريني عن يومك. . . هل قمتِ بأي مشروع؟».

بدأت ريبيل تجمع معداتها، بينما اخبرته الأحداث التي قادت الى احتفال التطهير.

«عباءة الطهارة».

قال بسخرية، عندما انتهت من وصف العباءة المنسوجة من تبلات الزهور.

«لا شيء يبدو اكثر جمالاً بالنسبة للرجل من العري الغير خجول، منظر جميل، وجه جميل».

تحركت فجأة وقد اذهلتها كلماته ووضعت يدها على خصرها وسمعته يسألها «ما الذي تفكرين به، الحورية اللذيذة؟».

قال ذلك وهو يمرر اصابعه في شعرها الذهبي.

«ان الخجل علامة الذنب، هل تذكرت احداث تشعرين بالخجل منها؟».

«انها تلك التي اشرت اليها؟».

ارادت ان تخبيء وجهها ولكنها وجدت الشجاعة لتثبيت رأسها.

«ان الأهالي يقسمون بأن حالة الذهول غالباً ما تحل بالشخص الذي يحدق بحورية ما».

همهم، وهو يحني رأسه الداكن باتجاهها.

«رغبة متوحشة للشيء البعيد المنال، هل تعتقدين بأن هذا ما اجده متسحيلاً في ان ألوث وامحي ذكرى جسدك الناعم وهو يخرج من الماء. يا عزيزتي؟ اذا كان كذلك، فأنها ليست مباركة في انك واحدة من الحوريات والتي تعترف لنفسها بالغنج والتي تتباهى في استمتاعها بألفة

www.rewity.com

العديد من الرجال».

كادت ان تشتمه وهي تتألم، وقد لاحظت متأخرة، كما كانت متهورة في تعنيف بدائي الأدغال هذا، ان تتهم رجل خطر كهذا لا يهتم لشيء.

«ارجوك، سنيور...».

بدون ان يحاول جعلها ترجوه مضيفة «ارجوك دعني اذهب!».

- ١٧ -

ضحك، صوت ناعم في حنجرته كان مزيج من الهرهرة والتناغم، قربها منه اكثر، وحدقت في عيناه الرماديتان بعاطفة ظاهرة، ثم اغلقت عينيها عندما التقت شفتاه بشفاهها في قبلة والتي نقلت لها رسالة تحمل مشاعره التالية.

«انني رجل بمعنى الكلمة، وانا اريدك!».

عالقة بين ضغط يديه، مذهولة من اتصال شفتيه بشفاهها، كانت غير قادرة على مقاومة تيار سريع من الإثارة بينما كان يبعد عزلتها بقبلة وعندما وضعت ذراعيها بخجل فوق عنقه، كانت همهمة رضاه اشارة على تحذيره، واعتبرت ريبيل بأنه كان يعترف انه يحبها كما تحبه...

كانا يقفان وهما يتعانقان على عتبة الكوخ، بعيداً بما

www.rewity.com مـرمـوريـة

يكفي عن القرية، ليبقيا على بعد عن نظر اي مراقب، في تيار عواطفها، كانت منسية من الجميع، عدا الرجل الذي اعادتها قبلاته الى الحياة، وحيث اثارته جعلت الدماء تجري حارة في عروقها، وسمعته يقول وكأنه يذكرها.

«عليك ان تذهبي الى الداخل، يا عزيزتي» همهم ويداه تضغطان بألم فوق خصرها.

«لأنه بالرغم من موقفهم تجاه العري، فأن الأهالي يعيشون هنا وفق شعار الأخلاق، ان الشيء الوحيد الذي يجب على العشاق القيام به، هو ان ينبذوا اي شارة محبة امام الآخرين».

كانت ريبيل واعية لموانعها تختفي بسرعة، وقفت على اطراف اصابعها لتطبع قبلة حنونة فوق فمه المبتسم وقالت.

«كم انهم ذو حظ سيء لأنهم لا يتعلمون فن التقبيل... أي نوع من التودد يسمحون به، على ما تعتقد؟».

انهم يفعلون هذا».

عض طرف اذنها وأضاف «وهذا...».

عندما خدشت اصابعه الممر المثير لعنقها تنهدت لانطباع الملاطفة البدائية.

«وهكذا كما ترين فهم ليسوا مجردين تماماً» ضحك بنعومة وأضاف.

«وهم يؤمنون بأنه حتى لو كان اثنان متحابان، فعليهم في العلن ان لا يسيروا جنباً الى جنب، ولكن الواحد وراء

الآخر، وكذلك ليس عليهم امساك الأيادي الملاطفة، او حتى النظر الى بعضهم والحب في عينيهم، والرادع خاصتهم يعوض عن نوع من السرعة والتي اشعر بها الآن... اية سرعة في الحصول عليك سريعاً».

كانت ريبيل متيقظة تماماً عندما قام برفعها الى ذراعيه وحملها الى داخل الكوخ، وحالما وضعها مجدداً على قدميها، لم تكن مستعدة للسرعة الخشنة لاصابعه وهي تتلمس ازرار قميصها، بينما كان قد نفذ صبره، وقال بنفاذ صبر.

«يا إلهي، ان الشخص يعتقد انك كنت مبتدئة لماذا لا تتعاونين؟».

صدمة كلماته لم تكن قوية جداً، بقدر دهشتها مما يتوقعه الرجال البرازيليون من العروس، خط دقيق يفصل بين النساء العفيفات عن النساء اللواتي يتخذن منهن زوجات. ان ملاحظتها في ان لويز اعتبرها من الطبقة والصنف الرخيص صدمتها بقوة، وتجمد الدم في رأسها حيث تجمدت اصابعها، عندما ابعدتهم عن عنقه لاحقاً، كان عليها ان تدرك معنى الغضب الذي شعرت به يغلي في داخلها، غضب ضد اهمال والدها والذي ابتهج في مشاركتها المعرفة الذي اكتسبها خلال حياته وهو يدرس الإنسان... وحتى بعد قرون من نشر كتب عن غرائز الحيوان، ولكن في هذه اللحظات لديها مشاكل اعمق في رأسها، مشكلة ضبط عواطفها.

لمسة اصابعه فوق لحمها البارد ارسل ارتعاشة قوية في

جسدها، وانسبحت بعيداً عن مكانه وكان عليها ان تصارع لكي تتغلب على الدموع في عينيها قبل ان تتكلم.

«انني آسفة لويز».

اخيراً استطاعت الكلام.

«ولكنني خائفة من ان هذا التصرف هو غلطة رهيبة».

شعرت به يتصلب، وحيث رأت نفاذ صبره يتبدل الى تهديد.

«انني اوافق بأنها غلطة خطيرة تقود رجل عطش الى الماء، ثم تحرمه من ان يشرب».

ارادت ان تشرح له بأنها لم تكن مغتاظة، بأنها كانت الآن تستوعب الوضوح بين ان تكون محبوبة وان تمارس الحب لمجرد ممارسته، ولكنها لم تستطع ايجاد كلمات لتصف وضعها.

«ان الوقت متأخر لادعاء الذكاء» قال بسرعة وهو يقطع المسافة بينهم بخطوتين.

«منذ دقائق كنت تذوبين بين ذراعي، والآن تتخذين موقف الملاك».

يدان تتلذذان بالقوة قبضتا على اكتافها وأضاف «انا لن اتوقف لاحصل على امرأة رغماً عن ارادتها... ولكن للمرة الأولى اشعر بالشفقة نحو الرجال الذين قادتهم خيبات آمالهم الى التوحش، ان النساء اللواتي من نوعك يستحقون الاحتقار».

حررها بقوة الى درجة وقعت على الارض وسمعته يضيف «ربما ترتاحين من فكرة بأن صرخة واحدة منك

قادرة على احضار قبيلة من المحاربين لمساعدتك».

سكت للحظات ثم اضاف متهكماً.

«ولكن ضعي هذا في عقلك، سنيوريتا ستورم، انا لا اتغاضى عن الديون الظاهرة، حالما نترك هذا المخيم سوف يكون امامنا اربعة ايام من رحلة العودة... انني اضمن لك بأنه حالما نصبح وحدنا فسوف لن تجدينني مذعناً كما وجدت باولو!».

على كل النساء ان يتعلمن كيفية البكاء! اكتشفت ريبيل بأن لويز مانشنت معلم ممتاز، بينما استلقت بدموعها تمتزج بغبار الأرض حيث تركها، تقبض عليها عاطفة جديدة تماماً، ألم الدموع بالكاد اختبرتها خلال مراحل حياتها.

ولكن بينما شعرت بضربات قلبها، لم تشعر بأي أسف لعبور السنين التي كانت عواطفها محبوسة، لقد اغراها لويز مانشنت لحياة مثيرة، الألم الذي تعانيه كان جزء غير مرئي من الآلام حبها له.

لأن الأهالي كانوا يبحثون عن اماكن المياه كمصدر للحياة، كان الاحتفال سيتم حول البحيرة حيث سترتفع آلهة المياه خاصتهم، ولكن من اجل ابعاد ارواح الشياطين، كانت المشاعل النارية يحملها السكان لترشدهم عبر الظلام حيث المخلوقات الجهنمية تحتشد.

لم يكن هناك اشارة لوجود الزعيم، عندما اتخذت ريبيل مكانها كضيفة شرف على رأس الموكب وحاولت ان لا تحدق الى جانبها حيث ملامح الرجل الماهوغوني والذي تعتبره القبيلة زوجاً لها، اتخذت زوجة الزعيم مكاناً

خلفهم، عباءتها المزهرة تتناقض مع عري بعض النسوة.

عندما جلسوا في دائرة نصفية تواجه البحيرة، سطحها يلمع قرمزياً مع انعكاس المشاعل النارية، موسيقى الغابة تضفي انسجاماً على المشهد، وكان هناك صمت مطبق يمتلىء بتنهيدة كوروبيرا... روح الغابة التي ينسب اليها السكان كل الضجة التي لا يستطيعون شرحها.

- ١٨ -

وبينما شاركت جذع شجرة مقطوع مع الرجل العابس، بدأت ريبيل ترتعش بعصبية، ولكن تدريجياً بينما لاحظت السعادة فوق وجوه الرجال ذو الاجساد الذهبية، والفتيات ذوات الجسد المغطى بالزيت، واختبرت شعور العيش في فترة ما قبل التاريخ، شعور تقبلته اخيراً.

ولكن عاصفة كانت تئن داخل الرجل الذي يجلس قربها، جسده المشدود يبدو وكأنه يضبط الغضب العالي لعاصفة امازونية والتي فرضت جواً من الصمت.

وجدت ذلك صعباً تقبله، رفعت احد يديها الى حنجرتها وارتعشت عندما سمعته يقول.

«انك تتشاركين مع القرود ولع التململ، اشك بأن الحياة بين البدائيين ليست ما توقعته، ربما ستعترفين الآن

www.rewity.com
مـر مـوريـة

بأن تصميمك المتهور في رؤية حياة السكان بنفسك قد كان خطأً... وغير ضروري، بإستطاعة والدك مقارنة كل المواد التي يحتاجها من ملاحظاتي ومن المجموعة التي جمعتها من ادواتهم وممتلكاتهم، عاداتهم واسلحتهم، والقليل من حرفهم الخشنة».

كانت لهجة المزدرية كما الملح فوق كبرياء ريبيل، رحلتها الى الداخل كانت قاسية كما يريدها هو، ولكنها لن تسمح له بأن يخمن بأن كل جزء مرتعش من جسدها كان يصرخ معترفاً بأنه على حق».

«انا لا اوافق».

تحدته بشجاعة وأضافت «المتاحف تحتشد بالمجموعات النادرة، ولكن المستندات المصورة تساعد في نفخ الحياة داخل عادات السكان واسلوب حياتهم، تساعد الناس في تقدير اختلافاتهم، في فهم عقليتهم، وجعلهم اكثر تعاطفاً تجاه غيرهم، وهو ما تريد تحقيقه، اليس كذلك...؟».

رفعت ذقنها بتمرد، تتحداه ان ينكر منطق كلماتها، ولكن المجادلة قطعت بوصول فتيات القبيلة يحملون اوراق شجر فوقها الطعام... واحدة لألهتهم، والأخرى لكوروبيرا.

وبينما انتزعت قدم ديك حبش مشوي، احتارت من رؤية الخيبة مرتسمة على وجه الفتاة التي قدمت الطعام للويز وذهبت مبتعدة.

«لماذا لم يقدم لي ما في القدر؟».

«ايبينا يأخذها الرجال فقط» قالها بجفاف مضيفاً «انها من بذور النبتة الخجولة والتي تطرد الاعتداء بأن تقدم هلوسة مطمئنة».

«انا مندهشة في انك لم تجرب القرصة...».

عاقبها على تهورها.

حاولت ريبيل ان تتجاهل نظرته التي جعلت وجنتيها تشتعل بأن مدت يدها والتقطت شراب الفاكهة وشربته بنهم.

عندما اصبحت متيقظة لذلك، تخيلت بأن الصوت المنخفض كان داخل رأسها، ولكن بينما ارتفع الصوت لاحظت بأن كامل القبيلة شاركوا بقوة في التعبير عن عواطفهم الفرحة بالمشاركة مع موسيقى الطبول، وكانت صور الرجال طويلة وكل منهم يقدم نمطاً معيناً من رجال الغابة.

ثم وعندما ازداد اصوات الطبول بدأ يعلو غناء الأهالي، ايديهم تصفق بجنون، والرجال والفتيات يفصلون انفسهم عن الحشد، شعرت ريبيل بتفحص لويز لجانب وجهها، وبعد لحظات اصبحت متيقظة بأن الرقص لم يكن اكثر من شكل من اشكال الضيافة الاجتماعية بل هو فرصة للذكور في إظهار رجولتهم، ولكي يقدموا للفتيات فرصة في إظهار رغبتهم بالزواج، وعندما قام احد الرجال بترك الرقص والانقضاض على شريكته وسحبها الى الغابة، خانت تنهيدة ريبيل حرمة عمله.

استجاب لويز بضحكة تحمل استمتاعه بالمنظر.

«اتحداك ان تريني فتيات القبيلة، بأنهن وقحات. . . ان رمز فلسفتهم تمنعهم من الغيظ، ان رقص المغازلة يتطلب حبس جدي».

«ربما. . . ذلك لأنهم يعرفون بأن الحبس يتشاركونه كلياً. . . وبأنهم ليسوا دمى».

وقفت ريبيل فجأة على قدميها وهربت من ظل لويز المنحني، جو العشق الذي كان يحمل تأثير المخدر فوق احاسيسها يشعل النار في رغباتها المكبوتة، فرت عبر الغابة، تتعثر بالجذوع، خائفة بشدة من الصياد الذي شعرت به يقترب منها في ظلام الليل.

في مكان ما فوق مظلة الغابات الشجرية، كان القمر يضيء سماء الليل، ولكن ارض الغابة كان داكناً عدا رقع متقطعة حيث ضوء القمر احدث ثقوباً من خلال اوراق الشجر، حافظت ريبيل في ركضها على الممر الذي اعتقدت انه يصل الى القرية، تبارك الحقيقة بأن الأمازون يختلف عن غيره من الغابات التي زارتها من قبل، حيث الحيوانات المفترسة تختبىء وراء كل شجرة، وحيث الأفاعي تتدلى كما الأغصان، القليل من الحيوانات الضخمة بقيت ولمدة طويلة داخل الأمازون، حيث كثافة الاشجار.

كانت عائق اضافي كلما تهدد الخطر، حتى الحيوانات الصغيرة بقيت مختبئة حتى جعل الغسق استحالة في رؤيتهم والقبض عليهم، ولكن كان يمكن سماعهم، الطيور تزعق ورائها بينما كانت تركض على طول الممر والقرود

تثرثر وتنتقل من جذع الى آخر.

لم تدرك ريبيل بأن الممر قد قادها بعيداً جداً عن القرية إلا عندما وصلت الى مكان حيث كوخ طو مظهر غريب ومخيف، قشعريرة خوف ضربت جسدها بينما لاحظت رسوم الحيوانات والرموز الأخرى المختلفة المرسومة فوق الجدران الصلصالية للكوخ والذي ارتفع عن ارض الغابة بواسطة جذوع اشجار ضخمة، سقفه المصنوع الساحر حيث يقوم بتركيب ادويته وسمومه وحيث يرغب في استشارة الأرواح.

غريزياً تراجعت بعيداً بينما تذكرت الوجه المخيف المرسوم، الجسد الذي يرتدي كساء غريب للرجل الذي يحمل له المتوحشون احترام عظيم وكبير، شاركتهم خوفهم، لأنه في كل مرة يتم عبور ممراتهم كان رجلهم يغضب، شعرت بغضب الطبيب الساحر، وقرأت رسالة فوق شفتيه الداكنة تركتها متأكدة بأنه لا يشارك رأي الأهالي في كونها آلهة.

كانت على وشك الفرار، مستعدة لتواجه غضب لويز الحارق، عندما صدر صوت غاضب مزّق سكون الليل، تصلبت من الخوف، وقفت ثابتة تراقب هيئة الدكتور وهو يرقص بحقد بينما اوماً بكراهية وهو تحت سقف كوخه.

مثل ضحية من ضحاياه السحرية، وقفت عابسة بينما تقدم نحوها وخطواته تحمل التهديد حتى بقي هناك اقل من يارد يفصله عنها، كانت صرخاته غير واضحة لأذنيها، بينما اصابعه تشير في اتجاه الجماجم التي تحيط كوخه والتي

تؤكد اتهامه على من يتعدى على أرضه.

«انني آسفة... انا لم انوي ابداً ان اتطفل، لقد اضعت طريقي...!».

اجابتها الركيكة بدت وكأنها تزيد غضبه، حيث هبطت يده فوق خنجر ملطخ معلق حول وسطه، ثم توقف وهو يتمتم بكلمات، وقبض الخوف على ريبيل بقسوة ووجدت نفسها تصرخ بقوة.

www.rewity.com
مـــرمـــوريـــة

- ١٩ -

وكأن الصوت ابهجه حيث كشر واندفع في اتجاهها، وشعرت ريبيل بقسوة يده فوق شعرها، تتنشق رائحة جسده الكريهة.

«ريبيل».

الصوت الذي وخز سمعها لم يكن غير مألوف حيث سمعته يضيف «افتحي عينيك، يا عزيزتي، لا حاجة بك ان تخافي، لقد ذهب الدكتور الساحر».

التودد اللاتيني لمس اعصابها جاعلاً اياها حية من جراء الشعور باليدين القويتين تقبضان على كتفيها، ضوء القمر غمر المكان، مسبباً الوان فضية فوق شعرها، قاومت انطباع نظرته بما يكفي لكي تؤكد بأن الصوت القلق ينتمي فعلاً هذا الرجل، ثم غطت عيناها برموشها لكي تخبىء تأثير هذا

الرجل عليها ولكن لم يكن هناك طريقة وسمعته يقول بينما كان يساعدها على الوقوف بثبات.

«ماذا عليَّ ان افعل بك، ايتها الجنية المتمردة؟» سألها بنعومة مثل تنهيدة قرب اذنيها.

«هل انا مخيف جداً الى درجة انك تفضلين رفقة دكتور ساحر غير على رفقتي؟».

«غيور...؟».

سألته باستغراب وهي مدركة لذراعيه وهي تمسكها بلطف.

«لماذا عليه ان يشعر بالغيرة الى درجة الإقدام على قتلي؟».

تذكرت قسوة يديه فوق شعرها، هبوط السكين بين يديه الحاقدة، ارتجفت واقتربت اكثر منه، شعرت به يطوقها وتساءلت لماذا يبدو صوته مجهداً عندما يجيبها.

«لأنكِ اغتصبت مركز سلطته بين القبيلة، قبل وصولك، اي شيء وكل شيء كان يشير الى الحظ السعيد كانوا يؤمنون انه يعود اليه، فقط لأنه يملك قوى غامضة، فقط لأنه يستطيع ان يزود زعيم القرية بمولود ذكر، ولكنك كنت مخطئة في تفكيرك بأنه كان ينوي قتلك...» اكد لها وهو يرفع يده ليبعد شعرها عن جبينها.

«ولكنه هددني بواسطة سكين» اعترضت مضيفة «لقد رأيتها تهبط ناحيتي قبل ان يغم عليَّ، ما لم تتعقبه انت...».

«ولكنني لم افعل...».

اجابها بهزة من رأسه وأضاف «لقد وصلت في الوقت الذي رأيته فيه يلمس شعرك الذهبي ويقطعه طبيعي... عندما وقع نظري عليك وانت تستلقين دون حراك على الأرض، فقدت كل اهتمامي بالساحر... لقد كنت اولى اهتماماتي.

كان وجهه مبهم التعابير، بينما لاحظت نبرة ألم تعبر كلماته وعيناه تلمعان، هل رآهم الساحر.

«لماذا قصَّ شعري؟».

«لأن القبائل البدائية تؤمن بأن اي خصوصيات، اي ممتلكات محببة... قطع الشعر او الأظافر، مثلاً، يجب ان تتلف او تدمر بأية طريقة حيث لا يبقى هناك اي خطر بهم يقع بين ذراعي الأعداء، حيث يتم استعمالها في السحر المدمر، الضحايا تقع ضحية المرض وربما ضحية... الموت، ما لم يتم اتخاذ خطوات تحرره من التأثير السحري، ليس لدي شك بأنه اذا ما بحثنا بجد فسوف نجد شعرك معلق فوق احد الأشجار كتعبير عن حقد الطبيب الساحر.

وبالرغم من ريبتها، سرت رعشة خوف داخل جسدها، بينما تذكرت شرح والدها عن الموت الواضح لسكان استراليا الأصليين حيث تمت ملاحقتهم حتى الموت.

«ماهي التحذيرات التي يجب مراعاتها؟».

من اجل اطمئنانها لم يهزء من بساطتها، ولكن عزَّاها وهو عابس.

«هكذا اشياء ما زالت متروكة للأهالي، حالما يدركوا

www.rewity.com

ماهية عمله المتهور، فسوف يبحثون لكي يقطعوا اي نشاط له وذلك بقتله ثم بتعذيبه، ولكن لا تقلقي».

اسرع لكي يهدىء عيناها الخائفتين.

«ان حدسي، ، بأنه حالما يعي الطبيب حماقة عمله فأنه سوف يضع اميال كبيرة بينه وبين القبيلة التي اساء الى آلهتها».

بقي صامتاً بهدوء بينما تعقبوا خطواتهم وهم يسيرون بمتاخمة البحيرة حيث ما زال الأهالي يحتفلون ويمرحون حتى دخلوا اخيراً الى قريتهم، كانوا ما يزالون خارج كوخها عندما حطم لويز الصمت.

«بعد ان فكرت بالوضع جيداً، قررت انه علينا ان نغادر المخيم عند فجر الغد، سوف يستغرق الأهالي في النوم لساعات عديدة يقتنعون مع الوقت بأن حضورك كان هلوسة، وبأنك كنت مجرد احلام، بتلك الطريقة سوف اكون قادراً على المحافظة على ثقتهم، سعادتهم... اريدك ان تكوني جاهزة باكراً قبل طلوع الشمس.

ولكن طلوع الشمس كان ما زال بعيداً، لقد ابعد الخوف الساعات التي ستقضيها وحيدة في ظلام كوخا مع ذكرى الطبيب الساحر، قادها التفكير بذلك الى اليأس والقنوط، وتوقفت ريبيل فجأة على رؤوس اصابعها لتفاجئه بقبلة خجولة وسألته برجاء.

«ألا تستطيع ان تبق معي بقية الليل؟».

سقطت يداه القاسيتان فوق كتفيها لكي يبعدها بعيداً.

«لا تفعلي ذلك ثانية!».

قال بقسوة وأضاف «انا لا املك قدرات هرقل، سنيوريتا، مع ان هناك اوقات تجعلينني اشعر فيها انني اشاركه جزء من حمله... هو ايضاً يملك قوة ارادة على نفسه، وعندما يحاول ان يحركها يكتشف قوة تحمله».

بعد مضي ساعتين، وبالرغم من ان كبرياءها كان ما يزال مجروحاً، تذكرت ريبيل احداث المساء بينما كانت تتسكع حول كوخها، تجمع اشياءها المبعثرة.

اشتعلت الإثارة داخلها، كان هناك ساعتين قبل انبلاج الفجر... وقت كافي لها لكي تعود الى كوخ الطبيب الساحر، وتعود بالصور التي تشتهيها كاميراتها، واكثر ما فكرت به هو انه لا يجب عليها ان تضيع هذه الفرصة، كل الدلائل تشير الى مساعدتها، الطبيب الساحر، لقد اكد لها لويز بأنه سوف يكون بعيد جداً الآن، وكذلك فأن الأهالي مشغولون بما يعقب الاحتفال، وهي لديها ساعتين لتملأهما بما يفيد، وكذلك سوف تفرح والدها بأن تحضر له دليل عن الطقوس والذي ما يزال حتى الآن ملعوناً من الدهر.

لطالما اتهمها والدها بالعناد، وبينما انسلت عبر الغابة وهي تلتقط كاميرتها بيد ترتجف، سوف يكون لويز هائجاً اذا ما اكتشف هروبها، ولكن الآن بينما تذكرت الطريق، لم يبدو كوخ الطبيب الساحر بعيداً جداً، لذا شعرت بالثقة بأنها تملك الوقت الكافي لالتقاط الصور والعودة الى القرية قبل ان يتسن له ملاحظة غيابها.

ان ردة فعل الزعيم هي ما يقلقها، هل سيقبلها كجزء من السحر، ام هل سيقوم عقله البدائي بالتفكير في

www.rewity.com

هجومها القاسي على ولده؟ رفعت ريبيل من روحها وهي تعتقد بأن الزعيم يعتبر ان لها الفضل في حصولها على مولود ذكر، وعبرت الآن البحيرة الصامتة حيث يستلقي الأهالي بسكون بين الطبول وحطام الاحتفال، نائمون على الأرض، النساء منهكات من الرقص.

كان المكان عندما وصلت اليه اشبه بمكان مسكون، لا اجنحة ترفرف مسببة سقوط اوراق الشجر، كان الأمر وكأن عالم الحيوانات قد تقبل فكرة ان هذا المكان كان محرماً، مقاطعة مهجورة من الجميع عدا الطبيب الساحر وارواحه المسكونة.

- ٢٠ -

بإحتراس، ضرب قلبها بسرعة كعصفور خائف، وضعت احد قدميها فوق السلم المصنوع من الحبال، وبدأت الصعود القصير نحو المنصة الخشبية، لم يفاجئها اي صرير بينما، وضعت رؤوس اصابعها في اتجاه الباب المفتوح، وقد ركزت كاميرتها نحو الداخل المظلم، ثم اخذت صورتها.

كان ضوء الفلاش كما الذكرى في عقلها كما كانت الصرخة البربرية للغضب الذي انفجر من حنجرة الزعيم، الذي كان يستلقي في ارجوحته، يرتدي الأسود من رأسه حتى قدميه، ويضع على رأسه شعر طويل مستعار، وكذلك يضع في معصميه ورسغيه خلاخل من اجل طرد الأرواح الشريرة.

www.rewity.com مـــورية

نفس الضوء الذي اعاد الزعيم الى عماه المؤقت، انعكس ايضاً فوقها من جراء الإدراك المفاجيء بأنها قد اخطأت جدياً، انها تستخلص قوة ثقتها الى الاقتناع بأن الزعيم سوف يعتبرها صديقة ولكن بينما اضاء النور الكوخ، بقيت ريبيل تحت الظلال، تعطيه الانطباع بأنه قد تمت مهاجمته بواسطة عدو غير مرئي!.

وبتهور، وبدون ان تنتظر لتبرر ما فعلته، وحتى دون ان تظهر عن نفسها، ركضت ثم اخذت طريقها نزولاً فوق السلم المصنوع من الحبال وهي مصممة على الهرب، كان في منتصف الطريق قبل ان تعي نزول المطر الغزير، لقد تجمعت غيوم العواصف وواحدة من اللواتي وابل المطر بدأت تضرب غصون الأشجار وتخفض الممرات المائية نحو الأرض العطشة.

ارتفعت فيها غريزة البقاء حية، وشعرت وكأنها قضت ساعة ألم قبل ان تتعثر خلف حاجز من الأشجار وهي تركض كغزالة مجنونة، تضع يديها فوق اذنيها لتصرخ بصوت شابه صرخات الزعيم الغاضب.

غير واعية ما اذا كان يتبعها ام لا، وخائفة من ان تقف لتستكشف الأمر، تابعت الركض بالقدر الذي يسمح به الظلام، تخلط بين جذوع الأشجار والذي بدا من المحال تجنبها، تدوس فوق الجذور وبدأت تسمع صرخات الحيوانات الصغيرة وكذلك هبوط بعض اغصان الشجر، وكانت ردات فعل الحيوانات لا تقل خوفاً عنها، وهي تنزلق فوق الممرات الرطبة، وكانت ريبيل طوال الوقت تحاول

حماية كاميرتها من المطر الغاضب.

المنظر الذي احياها عندما ولجت داخل كوخها، كان لويز الذي وقف وسط الأرض وهو يحمل مشعل مضاء، واضح انه كان ينوي البحث عنها.

«اين كنتِ بحق الشيطان؟».

وقفت ثابتة، تحدق ونظرة حيوان تم اصطياده ترتسم في عينيها، بقيت صامتة، مصعوقة تماماً لتبحث عن كلام، بينما لويز ينظر اليها من شعرها المبلل الى وجنتيها المحمرتين والملابس التي التصقت بجسدها مثل جلد ثاني، ثم استدارت نظراته الحادة، تغرق كالمغناطيس في اتجاه اليدين التي كان من الواضح انها كانت تخبئهما وراء ظهرها.

«ماذا تخبئين؟».

بدت لهجة صوته ناعمة، مغلفة بالخطر والتهديد ايضاً.

«انا... لا شيء...».

قالت، ثم بلعت ريقها كما طفل وقد تمت ادانته بالجرم المشهود امتدت يد قوية في اتجاهها.

«دعيني ارى...» امرها مضيفاً «احب ان اتفحص اللا شيء الغير مهم والذي جعل عيناك ترتعبان مدركة بأن اللعبة قد انتهت، استسلمت، ثم وبتنهيدة تعب سحبت يديها من خلف ظهرها، وسلمته الكاميرا بصمت.

للحظات بدا لويز تائهاً، لا يعرف ما السبب الذي جعلها تحمل الكاميرا، وصل الى استنتاجه قائلاً.

«لقد قلت بأن لديك سبب خاص يجعلك تحتفظين

بالفيلم الأخير لديك» اتهمها بشكل مبطن، وبدا منزعجاً من تصديق الكلام الذي نطق به.

«حتى لو تدبرت امر معرفة اختباء الزعيم، ولا انتِ حتى بهذا الغباء لتعودي الى كوخ الطبيب الساحر... مع كاميرتك، من اجل اقتحام الاحتقار ايه؟».

كان الصمت الذي تبع سؤاله ثقيل جداً.

«ولكنك فعلتِ، الم تفعلي؟».

اصابع غاضبة انغرزت في اللحم الرقيق لكتفيها بينما نفس من غضبه بأن هز جسده وبدون اية علامة نحيب، قاومت ريبيل العاصفة التي ضربت رأسها، العبوس القاتل، علامات الاحتقار وسمعته يقول بغضب مكتوم.

«هل انتِ ذات عقل بسيط الى درجة انك لم تلاحظي بأن هؤلاء القوم متوحشون، صائدي الرؤوس، بعيدين جدا عن الحضارة الى درجة انهم لا يترددون في قتل وتعذيب اعدائهم؟ انك تجرؤين على الارتعاش من لمستي؟ ان غباءك قد ورطنا في ان يتم احراقنا احياء ام تعليقنا تحت شجرة حتى يجف جلدنا ويصبح كما البودرة عند طحنه، ثم يهرس مع الموز ليأكل كتحلية الموت.

صدمتها كلماته، وزال القليل من غضبه عندما شحب وجهها بشدة مثل ازهار الزنبق التي تطفو على سطح البحيرة.

«لا تفعل...».

تنهدت ثم اضافت «انني آسفة، انني ادرك بأنني كنت مخطئة في القيام بما فعلته، ولكن ارجوك، لويز، اوقف

ذلك انا لا استطيع تحمل سماع المزيد من ذلك...!».

وبردة فعل عاطفية سقطت في اتجاهه، وللحظات سمح لها ان تذرف الدموع ثم قال بصوت قاس.

«ليس لدينا المزيد من الوقت لأضاعته، سوف اسمح لك بخمس دقائق من اجل تبديلك لملابسك، ثم علينا المغادرة حالاً».

لم تجرؤ ريبيل على الاعتراض، حيث كان المشعل المضاء الوحيد الذي انار الغابة اضافة الى بزوغ نور الشمس.

كانت تنتظر وهي تحمل كاميرتها على كتفيها ورأت لويز وهو يومىء لها بصوت هامس.

«اتبعيني وانت قريبة مني وهادئة بقدر المستطاع، ان فرصتنا الوحيدة للبقاء احياء تتمثل في الزورق ذو المحرك، علينا الوصول اليه والخروج بعيداً عن مناطق القبائل هنا مع ادنى حد من التأخير، جاهزة...؟» قال ذلك وهو يتحضر لإطفاء المشعل.

«جاهزة؟».

«حسناً!» بدا فمه وهو على وشك ان يبتسم وسمعته يضيف «دعينا نذهب اذاً».

توقف المطر، واصبح القمر عالياً في السماء بينما بدأوا يتلمسون طريقهم في الغابة، حريصين على عدم احداث جلبة، يتجنبون العليقات التي يمكن ان تظهر هروبهم، وبينما وصلوا الى حدود البحيرة، شاهدوا من خلال ضوء المشاعل المنطفئة، بأن الأهالي لم يستيقظوا بعد من نومهم

العميق، بدا قلب ريبيل وكأنه سوف يخرج من صدرها، وكانت تتبع لـوبز على رؤوس اصابعها حتى اصبحت البحيرة ورائهم، وبعد بضع لحظات سمعوا صوت عالي، ربمات يكون الزعيم وهو يتحضر لمواجهة عدوه، او انه حيوان ضخم، نمر ربما، يبحث في الليل عن طعام، ولكن مهما يكن، كان لويز يركز انتباهه على الطريق امامه، انتظر حتى اختفى الصوت.

- ٢١ -

ولم يستريح لـويز حتى اصبحت القرية على بعد ميلين منهم، في ضوء القمر كان جانب وجهه داكناً، كانت ريبيل تتوقع ان يثور بوجهها، ولكن صوته بدا هادئاً وهو يقول.

«لغاية الآن، اعتقد انه يمكن لنا ان نعتبر انفسنا آمنين، ان الزعيم لن يخرج بعيداً عن القرية لوحده دون عدد من المحاربين، ارتاحي قليلاً... خمس دقائق، لا اكثر».

ذكرها عندما استرخت بارتياح كلي على الأرض.

«عندما يطلع النهار سوف يمكن لرجال القبيلة تعقبنا بسهولة، ولهذا علينا ان نصل الزورق قبل الفجر».

«ولكننا لم نعرف لغاية الآن ما اذا كان الزعيم قد رأنا!».

حاولت ان تبرر لنفسها بيأس وأضافت «في الحقيقة، ان

www.rtty.com
مـرمـوريـة

اكثر ما افكر فيه، واكثر ما انا متأكدة منه هو انه قد اعماه ضوء الفلاش، حتى عندما هربت من امامه كان الضباب يلف المكان، لذا لن اشك فيما رآه».

سمعت انفاسه، ورأت عضلات يديه، ولاحظت انه تجاهل كلماتها ثم قال بعد لحظات.

«ربما يكون افتراضك صحيحاً، ولكن في المقابل قد لا يكون. واذا كان الزعيم قد فشل فعلاً في ملاحظتنا، فأن القبيلة لن تترك آلهتها بدون معركة، انهم يرونك كأسطورة تتمثل حية امامهم، كدليل على الحظ السعيد.

«لا استطيع ان اعترف بأنني سيدة الحظ، ولكن بالتأكيد، هناك اوقات عندما تصبح رفقتي ذات منفعة جيدة».

كانت تفكر في حياتها عندما تحادثوا بجدية، وهم يضحكون مع بعض بسبب اكتشافهم في انهم يتشاركون في الشعور بالشرف، وفجأة وصل اليها وقد التقطها بيده حيث قربها من جسده الغاضب القاسي.

«ليس هناك من منفعة يمكن ان يكتسبها الشخص من رفقة بخيل» ادانها بحدة وأضاف.

«امرأة لا تقدم من عواطفها شيء».

عندها انخفض فمه الجائع نحو فمها، استجاب كل عضل ووتر من جسدها لحاجته المثيرة، لقد تخيلت كثيراً وحلمت بالإثارة التي يمكن لها ان تعرفها وهي تشاركه عواطفه، كان حبها له قوياً ولكنها كانت تتردد للحظات وهي تشاركه عاطفته الحارة.

هزة رأس منتصر جعلتها ترجع الى الوراء، وقالت بحدة.

«هناك تفاهم بين المسافرين، سنيور... وهو قانون غير مكتوب يقول بأنه يجب على الرجال ان يحترم عواطف النساء المسافرات برفقتهن!».

هزَّ رأسه بكبرياء، كان كبرياءه ارستقراطياً.

«استميحك عذراً، سنيوريتا، لم تكن نيتي ابداً ان اعاكسك، اذا ما اغضبتك، فأنا آسف، على كل حال يجب ان اذكر بأنه كل انسان يريد ان يحيا اكثر من حياة، ليس عليه بتاتاً ان يشتكي اذا ما توجب عليه ان يموت اكثر من مرة.

كانت ريبيل تترنح من الانهاك عندما بدأت اصابع الشمس الحارة تتبدد زنار البرد الذي كان يلف الغابات كل مساء، وبينما تمايلت امام الرجل الذي بدت قدرته على السيطرة لا حدود لها.

وبذلت جهد لكي تفتح عيناها وتمنع عنهما النوم، ثم ركزت بصعوبة فوق ظهر لويز القاسي في محاولتها البقاء ثابتة، مصممة على عدم اعطاءه الفرصة في سماعها تشتكي بأنها باردة، رطبة، جائعة، وينهكها التعب، تعزيتها الوحيدة كانت في اقتناعها بأنهما كادا ان يصلا الى النهر، حيث كانت تسمع خرير المياه، وارتطامها بالصخور، اشارة الى انهم كانوا يقتربون من مبتغاهم، واقل من ميل حيث كان المركب يرسو على ضفة النهر.

وبعد مضي ساعة اشار لويز في اتجاه جذع شجرة مرمي

على الأرض.

«اجلسي هنا بينما انقب في كيس المركب لأرى ما اذا كان هناك فطور».

كارهة سرعته في الحركة، غياب تعبه تماماً، انحنت ريبيل ناحية الجذع ومددت قدميها لاراحتهما.

«زوج من علب البسكويت، هذا كل ما يمكن لنا ان نتشاركه» عبس في مواجهة كيس المركب الفارغ وأضاف «ما لم نتدبر التقاط بعض الأسماك، او الباكا فاننا سوف نبقى جائعين لليومين المقبلين».

«ما هي الباكا».

«قارض لذيذ الطعم... ويعتبره الهنود وجبة فاخرة».

سكتت ريبيل ورفعت رأسها الى سقف الغابة ووجدت كثافة هائلة من الأشجار الطاغية بلونها الأخضر.

«لقد شاهدت القليل من الأزهار في الغابة... مع ان رائحتها القوية هي كل ما حولنا».

«ان زهورها لا ترى في وضح النهار».

اومأ لويز عالياً في اتجاه تاج الأشجار وأضاف «ان الحديقة السرية غزيرة بالأجناس لا تحصى من الأزهار معروفة للأهالي على انها بنات الهوى، والأجناس الأنثوية الوحيدة قادرة على النمو بدون الجرعات المنتظمة لاطراء الذكور».

«ان قدرتك على التمييز لا بد ان تكون على حدود الخطأ، اذا ما نعت كل النساء بالغباوة والسخف».

تأسفت على ملاحظتها حالما وقعت ضحية احتقار عينيه

الرماديتين.

«هل تجرؤين على الادعاء بأنك استثناء لهذه القاعدة؟».

جفلت من النظرة الحادة التي جعلتها متيقظة لكل تجعيدة، عبسة قاسية منه».

«ليس لدي شك بأنه حتى تهذيب الأعشاب الضارة تجعلها تدعى بأنها تضاهي الزهور».

احمرت خجلاً، وقفزت على قدميها لكي تعبر عن غضبها قائلة.

«انك انسان مكروه، سنيور! قاسي غير حساس كما اسلافك الذين يكبحون ارواح الرجل بواسطة السوط... لقد قالت سافيرا ذات مرة بأنك متزوج من الأمازون... كما ينبغي ان يكون، حيث ان الأمازون يملك خصائص مشابهة للتي لديك تماماً... صدفة متحضرة خارجياً تخفي داخل بربري متوحش وقاسي».

«اذاً، انا الوحش الذي يهدد بأن ينهب الغزالة الرقيقة، ايه؟» تشرق بكلامه مضيفاً.

«ان موهبتك في التمثيل تستحق الاعتبار، سنيوريتا، ولكنك تتهمين قدرة جمهورك على التصديق بواسطة تغيير دورك، على كل حال، معظم الناس... مع استثناء المبتدئين مثل باولو... سوف يعتبرون انتقالك من ظبية طليقة الى ظبية سجينة شيء متناقض يصعب تصديقه!».

مع ان اسلوبه كان في رأي ريبيل خاطئاً، ارادت ريبيل ان توضح له خطأه في فهم العلاقة بينها وبين باولو، الذي

www.rewity.com

يقف كحاجز غير مرئي بينهم.

«لقد تعبت من تسميتي بالمخادعة... لقد اخطئت تماماً في فهم الوضع بيني وبين باولو، حتى المجرم له الحق في ان يُسمع، ولكنك اتخذت ذلك حكم نهائي دون اعطائي الفرصة للدفاع ولو قليلاً عن نفسي».

«لكي تطالبي بظروف تخفيفية؟».

تقوست شفاهه وهو يضيف.

«وفري عليَّ الميلودراما، سنيوريتا، استطيع ان ارى بأنك تبغين لعب دور البريئة».

«انك لا تحتمل... انك تكرهني لأنك لا تعرفني، انت لن تعرفني اذا ما تعلقت بكرهك لي».

- ٢٢ -

عرفت بأنها قد اثرت فيه عندما وجدته يدافع بقوة.

«انني اتصرف كضحية تجربة، سوف احاول ان لا اتمعن في حقيقة كونك حرباء حيث الوانها تتكيف مع الظروف المحيطة بها».

شعرت بأنها يجب ان تقنعه فقالت «منذ لحظة لقاءنا الأولى، اظهر باولو اشارات بأنه معجب، ولكنني لم افعل شيء لأشجعه على ما كان يقوم به، ولكن بالرغم من عدم تشجعي له، اظهر باولو بأنه شاب يعتقد بأنه ناضج.

«ناضج كفاية ليمارس الحب معك؟».

كان سؤاله ذو وقع خطير.

«لقد قبلني... مرة واحدة» قالت ذلك وهي تتساءل عن الأفكار التي تسكن رأسه.

www.rewity.com
مـــروريـــة

«وانتِ لم تعتبري القبلة اشارة تشجيع؟».

شعرت بنفسها فجأة تتخبط.

«حسناً، نعم ربما... ولكنني كنت يائسة، انت ترى... يائسة من شخص ما يرشدني الى قرية الهنود، لقد اعتبرت بأن سمعة والدي اصبحت على المحك، سلسلة كتبه حازت على تصفيق واعجاب عالمي وشيء طبيعي ان يريد ان يكون كتابه الأخير ذو تأثير كما كتبه السابقة، لقد اردت ذلك ايضاً، الى درجة انني اعتقدت بأن باولو دليل بارع... حتى انني رفضت الاصغاء عندما فقد اعصابه في اللحظة الأخيرة وحاولت الرجوع، لقد كنت مخطئة في اغرائه ضد ارادته».

اعترفت ريبيل، ترجوه داخلياً، وهي تنظر الى عينيه الرماديتين اللتين لم تظهران اي اشارة لين.

«لقد كان خطأ مني ايضاً ان اشجعه على عدم احترام وإطاعة أوامره لهذين الخطأين اعتذر منك، ولكنني لن استطيع ولن اقبل عفو على خطأ لم ارتكبه».

«هل تسألينني ان اصدق بأن باولو خاطر بسمعته، مهنته، وحتى حياته من اجل حصوله على قبلة واحدة؟».

«لما لا؟» سألته بهدوء وأضافت «عندما يشير كل شخص يعرفه الى لطفه، ومساعدته».

«ربما يمتلك باولو العديد من الصفات الجيدة، ولكن كلها انسانية... انك تتكلمين عنه كصبي، ثم في اللحظة التالية تصفينه بصفات خارقة، دون اقتراف اي خطأ في ذلك، سنيوريتا، لا يوجد رجل، مهما كان عمره، يستطيع

قضاء ايام في تقارب واضح مع فتاة جميلة، ويقبل بأن يضبط عواطفه».

بالرغم من تعبيره كان بارد، كانت كلماته إشارة لها بأن يرتفع الأمل لديها، لقد عانت من الألم العذب، المتوحش لقبلاته.

أمل جديد ولد في عينيها، في تقوس فمها، عندما تابعت كلامها وهي ترجوه.

«ارجوك، لويز».

بدا اسمه بين شفتيها رقيقاً وهي تضيف.

«لا تلقي لعبة اخطائي على كتفي باولو! انت تعرف ان اللوم يقع عليَّ كلياً، لذا اذا ما اردت معاقبة احد، فيجب ان يكون انا».

كانت محتارة من الغضب في العينين الرماديتين.

«اذا ما اراد ان يصبح ذو شخصية اكثر تطوراً من اجل تدجين ثائرة، فعليه ان يتعلم ان يقبل عقابه كرجل... لقد اوضحت بأن كراهيتك اصبحت ظاهرة، ولكن هكذا عواطف ليست بتعويض عن العاطفة التي يمكن ان يثيرها وليف متطلب».

اشتعلت ريبيل بنيران الخجل عندما تذكرت ما كان يثير فيها.

«هل انت ذو تفكير سطحي سنيور، الى درجة انك لا تستطيع ان تغفر لرجل شاب نزوة او اعجاب عابر؟ او ان تصرفك غير المسؤول يرجع الى الحقيقة، بأنك تجد من الصعوبة ان تعذر غبي تصرف بطيش؟ اذا كان باولو يستحق

ان يعاني من عواقب قبلة واحدة، في هذه الحال، ما هو عقاب الذي ينتظرني؟».

بدت الغابة حولها وكأنها طوق اخضر، بينما كانوا يحدقون في بعضهم البعض، وقد تناسوا تعبهم، وبدا لويز ذو الفك القاسي والنظرة المرعبة والخطرة في مواجهتها وسمعته ينهرها قائلاً.

«توجهي نحو النهر، بسرعة... ما لم اكن مخطئاً، فعلينا ان نجد المركب يرسو على بعد مئات الياردات فقط من هنا».

ايا كان سبب اقوله هذه، شعرت ريبيل بيده تلتقط كوعها، تدفعها بخشونة، وشعرت بأن عمله هذا كان مسيراً من قبل الحاجة وليس الكره، خضعت له دون اعتراض وشعرت بأن قدميها كانتا تستجيبان للسرعة المطلوبة.

كانت البحيرة عندما وصلوا اليها ساكنة كما تركوها تماماً، لم يضيع لويز وقته في الكلام، بل طرح كيس الطعام على الأرض ثم تفحص المركب الذي اعتقدت ريبيل بأنهم سوف يأخذون وقتهم في اكتشافه.

وعندما شعرت بما يشعر به من ضرورة الإسراع والخطر المحدق بهم، قامت بمساعدته في إبعاد اوراق الشجر والنباتات التي تغطي المركب وكانت سعيدة بأن تطيع أوامره، كان صوت محرك المركب كما الموسيقى بالنسبة لأذنيها، وفجأة رأت مجموعة من سكان الغابات يقتربون من ضفة النهر.

ومن منتصف البحيرة، كان مستحيلاً عليها ان تتبين

الغضب الذي كان يرتسم على وجوههم، وما اذا كان اذرعهم تظهر الترحيب ام التهديد لها وللويز.

نظرة الى جانب وجه لويز، اكدت بكل وضوح بأنه كان ايضاً غير متأكداً وفي نفس الوقت حذراً، لسنوات كدّس اهتمامه كله وحياته لخير وسعادة القبائل المنسية، محاولاً بناء ثقة وصداقة ابدية بينه وبينهم، ولكن الآن، بدا كل ما قام به، يرتكز على حد هذه الصداقة، هل ما زالوا يعتبرونه كصديق حيث زياراته كانت تعزز هذه العلاقة؟ او هل اصبح الآن شخصاً مكروهاً، الرجل الذي انتزع منهم آلالهة خاصتهم؟.

شعرت ريبيل بالتوتر، حيث توقفت على قدميها تواجه الشعب ويداها مفتوحتان بشدة.

«يا إلهي، اجلسي!».

صرخ لويز عبر كتفيه بينما كان يتحكم بالمركب.

«اننا ما نزال في مجال انابيب نفخهم».

كانت ريبيل مصممة على عدم الاستسلام، حيث بدأت تلوّح لهم اشارة الوداع، وهي تنتظر منهم استجابة ودودة، بدأت اجساد الأهالي تنخفض الى اسفل حيث الضفة عندما تناقل نسيم البحيرة صوت انشادهم وعندما اطفأ لويز محرك المركب بهدوء، مركزاً اذنيه نحو مصدر الصوت شعرت ريبيل بقدميها تسقطان تحتها.

«ماذا يقولون؟».

رجته قائلة، وهي تتفرس في جانب وجهه الغامض.

كان تركيزه شديداً، وبدا انه لم يسمعها، ثم وكأن حرارة

نظرتها قد اذابت قناع الجليد، وابتسم قليلاً، وبدا غير مستعجلاً في الايضاح لها. الضربات الكسولة للمياه على جانبي المركب، غناء الأهالي يخفت مع المسافات، الأشعاعات النارية للشمس تلون جانب وجهه باللون الذهبي كما قناع وجهها، وقف بكبرياء قبل ان يقول.

«انك امرأة شجاعة جداً، سنيوريتا ستورم. لأنك اظهرت الرصانة والحكمة التي يتوقعها اهل الأمازون، فها هم الآن ينشدون الكلام بأن آلهتهم ربما سترجع قريباً».

«أوه...».

- ٢٣ -

بقي فمها مقوساً تعبيراً عن الدهشة، بينما كانت عواطفها تضرب بشدة حباً وإعجاباً بهذا الرجل.

وكأنه هو ايضاً، كان يصارع عواطف غير مألوفة، استدار لويز ليشغل المحرك، ثم ركز انتباهه في توجيه المركب من خلال المخرج الضيق للبحيرة.

بعد مضي ساعة سفر صامتة خلال عالم من المياه والغابات، رأت ريبيل لويز وهو يهز كتفيه علامة على الافتخار بهذه الغابات التي بقيت على حالها منذ عصر ما قبل التاريخ، حيث جذورها تنغرس عميقاً في الماضي.

وسمعته بعد لحظات يذكرها قائلاً.

«اذا ما كنت تقارنين الأمازون بغيره من الغابات الاستوائية التي ربما قمت باستكشافها في افريقيا او الشرق

www.rewity.com مـرمـوريـة

الأقصى، فعليك ان تضعي في رأسك الحقيقة بأن هذه المنطقة بقيت بعيدة عن الانتهاك لملايين السنين، وكذلك حيواناتها المختلفة التي لا يمكن لك ان تجدي مثيلاً لها في معظم الأحيان».

«انني اتمنى لو انني لم استعمل كامل الفيلم خاصتي؟» قالت ريبيل ذلك وهي منزعجة من تطويل المحادثة بينها وبين هذا الغريب الذي ما زال يشعرها بالخجل الشديد.

«هل هناك اي سهو تريدين تصحيحه؟».

«احب ان اركز على المؤثرات المسرحية لكي احرك المخيلة... مثل نقاط المطر تلمع فوق اوراق زهرة اللوتس».

حركت احد يديها في الهواء مضيفة «احب ان اقوم بتصوير عدد من اجناس الأزهار البرية حيث ترتفع عالياً في مناطق شتى من الغابات، وخاصة التي تقول عنها بأن الأهالي يطلقون عليها اسم بنات الهوى».

تساءلت عن الدافع الذي دفعه الى ايقاف المركب على ضفة النهر.

«انتظري هنا، سوف لن اتأخر».

بصمت راقبته يدخل الغابة، ثم بعد لحظات ارتعشت من الخوف عندما سمعت بضربات اجنحة لطيور كبيرة تظهر في الغابة.

كانت صدمتها اكثر عظمة عندما رجع، ليضع زهرة في كفها، زهرة قطفها من حديقتها الأبدية، رائحتها ثقيلة كما المغناطيس. زهراتها الحمراء الداكنة تتدلى بكل سحر

وإثارة.

«كم انها جميلة...».

تنفست، وكادت ان تبكي لبادرته اللطيفة هذه، ثم لاحظت بأن هديته كانت عرض سلام وهدنة منه، عندما احنى رأسه بالقرب منها قائلاً.

«أي زهرة قادرة على اثارة الإنسان، ولكن اعجابي انا اخبئه للزهور الجميلة الجريئة التي تعطي سحرها كله في وجه الخطيئة».

حالما غابت الشمس، بدأت القرود تثرثر فوق الأشجار كان لويز قد اضاء نارين، واحدة قريبة من ارجوحة ريبيل والأخرى بعيدة عنها حوالي البارد والتي كانت تخصه، بينما استقلت ريبيل تحدق في أشجار النخيل التي انارها القمر مشكلاً منها اشباح طويلة ونحيفة ذات رؤوس تتدافع نحو السماء الداكنة.

ارتعشت وتكورت حول نفسها في محاولة للتغلب على قشعريرة باردة اصابتها من تأثير هواء الليل الذي كان يضرب كيس نومها، شعرت بالتعب، بينما كان عقلها يمنعها من ان تنام بتاتاً.

منذ الحادث عندما قدم لها الزهرة، اصبح لويز كتوم للغاية. فبعد ساعات الصمت، وجه المركب نحو الأماكن الضيقة، اميال لا تحصى من المياه، واحياناً كانت الممرات تضيق بشكل كبير، وفي مرات عديدة تتسع بشكل واضح.

تركز انتباه ريبيل على لـويز، الـذي ومنذ اعتـزالها، بقي جـالسـاً قـرب نـار المخيم يحـدق في ألسنة اللهب التي عكست النـظرات الشيطانيـة في عينيـه، ورسمت قنـاع من الذهب فوق ملامحه، وبدا سعيداً بنفسه، وكانت ريبيـل قد غيرت مكانها وبدأت تتحرك بقلق محاولـة النوم، استـرعت حركات ارجوحتها انتباه لويز، ورأته يتوقف على قدميه، ثم توترت اعصابها عندما رأته يأخذ طريقه نحوها.

«ألا تستطيعين النوم؟».

كانت لهجة صوته باردة مثل ظله، مغلفة تماماً.

«اعتقد انني غير قادرة على ذلك».

اجـابتـه من خـلال اسنـانهـا التي بـدأت تصـطك، ثم لهثت عندما انزلقت اصابعه تحت عمودها الفقري.

تـردد، بينما كـانت تعابيـره غامضـة، وشعـرت بعبـوسـه وسمعت تنهيدة احجام في صوته، وسمعته يقول اخيراً.

«هل تحبين مشاركتي في السباحة؟».

«سباحة...؟».

جلست من شـدة صـدمتهـا وأضـافت «ولكن الـطقس بارد... وخطر!».

«انهـا عـادة القبـائـل ان يستحمـوا في هـذا الـوقت من الليل، حيث تكون الحـرارة في الغابـة في ادنى درجاتهـا، وحيث تصبح المياه اكثر راحة من برودة الجو التي يحملهـا هواء الليل، وايضاً...» شرح لها مضيفاً «عنـدما كنـا نقوم بنصب المخيم، اكتشفت جـدول سري غيـر ملوث بتـاتـاً، مياه نقية بما يكفي لشربها».

«سناً... اذا كنت متأكداً».

شدت ريبيل على اسنانها لكي تضبطها، بينمـا سـاعـدها لتخرج من الأرجوحة.

«اي شيء سيكـون افضـل من الاستلقـاء هنـا عـرضـة للموت برداً».

وضعها على قدميها، ثم انسحب، راقبته يسير في اتجاه الغابة، وهي تصارع امواج القلق والارتباك التي سببها تغير موقفه، في بـداية هـذا النهـار اعتقـدت بـأن عـلاقتهم قـد اتخذت منحى افضل بكثير، ولكن لسبب ما، انسحب لويز الى دائـرة من الصمت والتهـذيب... وهـذا مـا ضـايقهـا كثيراً، وجعلها تسترجع قبـلاته الحـارة التي جعلتها تـذوب طائعة بين يديه.

اما الآن، فليس هناك من سبب يجعلهـا تشعر بـالارتبـاك من جـراء وجوده، عنـدمـا ارتعشت وهي تخلع مـلابسهـا، وتضع احد اصابع قـدمها في مياه الجدول، لم يكن هنـاك اي اشـارة للويز عنـدما غـطست عميقاً في المياه البـاردة، وعـادت ترجـع الى سطح المياه، ولكن ولدهشتهـا، بينمـا وطأت المياه في محاولة لاستراجاع رصانتهـا قبل ان تسبح باتجاه الضفة، شعرت بوخزة دفء تنتشر خلال اطرافها، ثم تـدريجياً بينمـا اخذت وقتهـا لتستـوعب الجمـال الخفي ذو الإثـارة لجدول الغـابة، شعـرت بـدفء المياه تـزداد حتى بدأت تستمتع بالاحساس المثير للسباحة عاريـة في خابيـة من النبيذ الأحمر الدافيء.

ضـاعت في حلم جميل بين هـذه المياه المنحشـة، كان

www.rewity.com

سروروها كاملا الى درجة انه عندما رفع لويز رأسه خارج مياه الجدول ومضت عيناها، وهمهمت وهي تحلم.

«باشوس، آله العاطفة والمتعة، يرتدي وقت السلام رداء قرمذي، وفي الحرب جلد النمر المرقط».

للحظات بدا عقله فارغاً، ثم ابعد شعره عن جبهته وقال «باشوس، كان معتمداً عن طريق ارتدائه للعديد من العباءات، وبينهم عباءة الشيطان الجن، وكذلك امير القدر، سوف لن اربكك بأن اسألك أي واحدة من هذه الصفات تناسبني».

- ٢٤ -

لم يعطها وقت لكي تختار، بل استدار لكي يغطس في المياه وهو يقول من وراء كتفيه.

«لقد حان وقت الخروج من المياه، ايتها الشابة، لقد سبحت بما يكفي».

بأمتناع، نفذت ريبيل ما قاله لها، ولكن عندما وصلت الى الضفة وخرجت من الجدول، شعرت وكأنها خطت نحو قبضة جليدية قبضت على عروقها حتى تجمد دمها.

حاولت ان تضع ملابسها فوق جسدها الرطب، ثم حاولت ان تلغي حماقتها بأن تدلك اطرافها ببطء.

«هل انت جاهزة؟».

خرج لويز من وراء صف اشجار، ولكن عند رؤيته لوجهها الذي اصبح ناصعاً من شدة البرد، كتم اللعنة التي

www.rewity.com مـــروريـــة

كادت تخرج من فمه وعبر عن غضبه بنفاذ صبره عند رؤيتها نصف عارية، لم يضيع وقت في الكلام بل خلع قميصه واستعمله ليلفها فيه، وبدأ يدلك شعرها حتى عاد اليه رونقه السابق.

بعد لحظات رفعها بين ذراعيه ومشى بها نحو المخيم، حيث وضعها قرب النار التي ما زالت تحترق مرحبة.

بأمتنان جثت ريبيل على ركبتيها، شعرت بجسدها ضعيفاً من جراء اتحاد البرودة مع معاملة لويز القاسية لها.

«ان اوقات مثل هذه تثبت بأن النساء غير ملائمات للتعب والصراع الذي يسببه السفر الشاق! لماذا لا تستطيع النساء ان ترضى بأن تفعل ما تستطيع فعله بمهارة... وبالتحديد اكثر، البقاء في البيت وإنجاب الأطفال؟».

لم تفهم ريبيل السبب الذي جعله غاضباً بشدة.

«هذا سؤال غالباً ما أسأله لنفسي... خاصة عندما اشعر بالطفل في داخلي».

شعرت بدموعها تتساقط رغماً عنها، وسمعت تنهيدة وراء رأسها، ثم سحبت على قدميها بقبضة توقعت ان تكون قاسية، والتي وجدتها ناعمة على غير توقعها.

«انك متعبة وباردة... باردة جداً لتتركيني لكي تنامي وحدك، اذا كنت تتذكرين، سنيوريتا، لقد حذرتك بأنه سيكون هناك ليالي في الأمازون عندما يتوجب عليك ان تشاركين رفيقك حرارة جسده... ان ذلك يبدو... وكأن هذه الليلة هي واحدة من هذه الليالي».

لم يظهر أي أشارة عاطفة، بينما نشر كيس نومه قريباً من

النار وساعدها لكي تدخله، ولكن لم يهمها مساعدته لها، لأنها كانت باردة جداً، وليس لها القدرة لتهتم ولا حتى عندما استلقى بجانبها حاولت ان تبتعد عنه.

فقط فكرة وحيدة مزعجة جعلتها تهمهم.

«هل سنكون بمأمن من حشرات الليل، هل تعتقد انها تطير عالياً في الغابة؟».

«لا تقلقي، سوف ابقي بندقيتي قريبة من يدي».

«نعم، لكن...».

بدأت تعترض، ولكنها سمعته يقول.

«سوف تكونين بمأمن تماماً، سنيوريتا».

اصرَّ على ذلك، ثم وكأنه قرأ افكارها، قال مضيفاً «استطيع ان اعدك بأنني لن اقع نائماً».

كان صوت تنفسها مريحاً خلال الليل، وكانت في لحظات معينة تهمس اسمه فوق شفتيها، ثم تغرق في هوة دافئة، مثيرة يؤكدها صوت تنفس ثابت وجسد قريب.

عندما لامست اصابع الفجر جفونها، همست، ثم عبست، تشعر بغياب الدفء، غياب دقات قلب ما، قوي كما المحرك، والذي خلق حياة جديدة في جسدها القاحل.

«صباح الخير، سنيوريتا».

كانت لهجة صوت لويز باردة بما يكفي لتجعلها تتساءل ما اذا كانت قد قضت الليل بطوله تحلم، ام انه فعلاً قد شاركها كيس النوم.

«صباح الخير».

جلست، خجولة من ان تنظر اليه لتراها هيئته المسيطرة، ولتدرك بأنه قد اخذ حماماً منعشاً هذا الصباح.

«لقد تدبرت ايجاد بعض الموز من اجل الفطور... لقد انتهت علب البسكويت، وهناك مياه فقط للشرب... ولكننا على الأقل محظوظين بذلك، لأنه في اجزاء عديدة من الغابة تكون المياه غير صالحة للشرب».

«ألا يجدر بنا ان نملأ الأنية قبل ان نذهب؟».

«لسوء الحظ، ان سرعتنا في مغادرة القرية قد جعلتنا ننسى الأنية هناك» اخبرها بجدية وأضاف «ومع ذلك، ففي هذا الوقت من السنة هناك مساعدة تقدمها لنا الأنهار، لذا فإذا ما اسرعنا فأننا سوف نتجنب الضيق الذي تسببه لنا قضاء ليلة في الغابات».

لقد قال بصمت، ولكن ما عاناه يعني الكارثة، فكرت ريبيل ذلك بينما راقبته يركز اهتمامه الكلي فوق الطريق النهرية امامه.

وبينما المركب تعبر المياه، شعرت ريبيل بالحاجة لأن تعتذر لسكان الغابة الساخطين الذي تم ازعاج سلامهم بواسطة مستكشفة شابة.

توقفوا لمرة واحدة، من اجل استكشاف الغابة بحثاً عن الطعام والشراب فقط ليكتشفوا، ما اكتشفه الهنود من قبلهم، بأن اجزاء الأمازون الخصبة كانت قاحلة كما الصحراء، كانت ريبيل تزحف على طول ضفة النهر، عيناها تبحثان بقلق عن شيء صالح للأكل، عندما داست على جذع، وغريزياً طرحت يداها للتجنب الوقوع، وخز

ألم الأبر الحمراء الساخنة كفيَّها، عندما حاولت ان تتمسك بشجرة قريبة، كان جذعها ذو رؤوس مسننة من أسفله وحتى أعلاه، اطلقت صرخة ألم، وقامت بمحاولة لإزالة هذه الأبر، ثم حدقت بعينيان واسعتان نحو يديها بخوف وهلع.

غريزياً لويز الذي كان حريصاً على ان تبق قريباً من سمعه، التقط صرختها، وكان بجانبها في غضون لحظات.

«ما الذي حصل...؟».

عيناه الجاحظتان تفحصتا وجود افاعي بالقرب منها، ثم ارتاح عندما اطمئن الى عدم وجودها وسمع ريبيل تقول.

«انني آسفة اذا بدت صرختي رهيبة، لقد ارعبني طير خرج من احد الأعشاش».

ازداد توردها، وبدلاً من ان يبدو راضياً، بدأ يدرس وجهها، وبدا راضياً عما وجدته عيناه حاولت ان تهرب بأن تتحرك الى جنبها، تتساءل لماذا يجب على رجل ان يكون قاسياً ليغش في نواحي عديدة، بينما تردد في ان يصدق نواياها.

«انتظري...».

عندما هزت يده معصمها، لاحظ على الفور فزعها، وبدون اية كلمة، قبض على يدها بأصابع فولاذية ثم ادارها من اجل ان يستكشف كفيها، انتظرت بيأس ان يسقط فأس كلماته فوقها.

ولكنه بدا ذو صفات غريبة وتحضر واضح، حيث انه بعدما قاوم صدمة تفحص كفها، قال لها بجدية.

«هناك صندوق ادوية في المركب، الأفضل ان نتوجه اليه».

بدت لهجة صوته خالية من التعبير الذي احست به، هل كان غير مهتماً، هل يعتقد بأنها إنسانة مزعجة؟ أم هل يمكن مقارنة هدوءه بهدوء ما قبل العاصفة.

وبالرغم من رغبته في ان يصل الى البيت قبل هبوط الليل، جلس لمدة نصف ساعة وهو ينتزع الأبر من كفيها، ثم فرك مرهماً على الجروح، ثم زودها برباط بسرعة تدل على خبرة واضحة.

«الآن... هل تسمحين في البقاء داخل المركب بينما ابحث عن شيء نأكله وشيء ما نشربه؟».

- ٢٥ -

راقبته ريبيل محتارة، بينما كان يأرجح نفسه فوق احد جانبي المركب ويمشي دون ان ينظر خلفه، فعلت ما أمرها به، شعر بأمواج آمرة انبعثت منه، يتحداها ان تتبعه، حتى عندما صرخت الببغاوات شعرت ريبيل بأنها مشغولة بأفكارها.

لم يمض اكثر من عشرة دقائق عندما عاد يحمل زوج من قصب السكر حيث سلمها واحدة وقام هو بمضغ الثانية.

ترددت ان تفعل مثله، متسائلة عن طعمها.

«انها ذات طعم لذيذ، وكلها مياه.

رفعت ريبيل ما بيديها وبدأت تمضغها، كان هذا القصب يحمل الكثير من الماء، الى درجة ان ريبيل ارتوت

www.rewity.com مرويـة

بما يكفي.

حتى قبل ان ينهي طعامه، شغل المحرك وبعد لحظات شعرت ريبيل بأسماك تشبه الدلافين حولهم وقالت بفرح.

«هناك العديد منها».

«ذلك لأن عددهم محمي من قبل الأسطورة».

حاول ان يعلو صوته فوق صوت المحرك.

«مع ان لحم الدلافين صالح للأكل، فأن الأهالي لا يأكلونه لأنهم يعتقدون بأن أكله سيجعلهم مذنبين».

للحظات سمح لها ان تبق بجانبه، تتمتع بالهواء يلعب بشعرها.

«الأفضل ان تعودي الى مقعدك».

اعاد سرعة المركب الى ما كانت عليه، وهو يعبس بين اللحظة والأخرى، وبينما كان يتولى القيادة، رأت بأنهم كانوا يسيرون بين مياه تتكوم على سطحها اعشاب خضراء، احست ريبيل بتوتر لويز يناور ليحصل على عبور سليم خلال هذه المياه التي اعاقت تقدمهم واحست بعد لحظات بتنهيدة ارتياحه بينما كانوا قد تخطوا الأعشاب، حتى تركوها اخيراً وراءهم.

وبعد مرور ساعات صمت عديدة، بدا لويز متأكداً من سلوكه الطريق الصحيحة، كان قادراً على ملاحظة علامات مألوفة تدل على ما يريد.

وبمزيج من الفرح والحزن رأت منصة للرسو تلوح من بعيد، وسمعت ضجة المحرك تزول، وشعرت بخبطة عندما اصطدم المركب بهدوء بطرف المنصة الخشبية،

وعرفت ان والدها، باولو وسافيرا دي باس وشخص آخر كانوا على بعد دقائق منها.

وكأنه هو ايضاً، شعر وكأنهم وصلوا الى نهاية الفصل، بعض الأجزاء تمنى ان يدونها خطياً، لم يقفز لويز مباشرة ولكنه جلس مواجهاً لها، وجهه غير واضح في الظلام.

«لقد وصلنا».

اخبرها وكأنه يضع نهاية ذات خشونة واضحة للرحلة.

«انني متأكدة انك لست متأسفاً».

همست، وهي على وشك البكاء وأضافت «انهم يقولون بأن الأمازون بمثابة امرأة... امرأة لا يستطيع أي رجل ان يتنكر لها...».

«لقد وصلت الى استنتاج، سنيوريتا».

اجابها بقساوة وأضاف.

«وهو ان الأمازون وأنت لا تتجزأن، توأمان متشابهان يتشاركان بنفس الخصائص. نفس التناقضات، نفس القدرة على الجذب والمدافعة، بالنسبة للمسافر الذي يعبركما تستطيعان ان تكونا متوحشتين ولطيفتين، تشجعان ثقة الرجل حيث يسير دون خوف على طول الممرات المألوفة، افكارك، كما الأمازون وطرقه المائية المحيرة، هي ضالة، افعالك لا يمكن التنبؤبها كما عواصف الأمازون، نعم ان الأمازون بمثابة امرأة...».

قال ذلك بثقة وتأكيد وأضاف.

«المرأة الوحيدة التي اتشارك بها ومعها بملىء ارادتي... الوحيدة التي انا مستعد من اجلها ان ألقب

بواحد من عشاق كثيرين».

رفعت ريبيل عنقها لتتفصح الصور الجديدة التي قامت بتظهيرها. في الأيام التالية حاولت ريبيل ان تبق واحدة، هاربة من الأسئلة العديدة التي تراها، النظرات الفضولية، ولكن افضل ما ساعدها على تجنب لويز مانشنت كان عملها وانشغالها الدائم به، لويز مانشنت الذي عاد الى لعب دور السنيور من لحظة دخوله عتبة داره... صورة قاسية عن السلطة.

وكادت ان تصدق بأن الأحداث التي تشاركاها كانت اوهام من نسج خيالها، ولكن الصور كانت تؤكد لها غير ذلك.

لسوء الحظ، انتهى عملها الآن، بينما علقت آخر فيلم في الغرفة المظلمة ليجف، وحدقت بإثارة باهتة الى وجه الزعيم، الممتلىء بالغضب، والى شعره القاسي المستعار، التقطت انفاسها بينما تفحصت الصورة والتقطت للمرة الأولى الانطباع الكلي لغضب الزعيم... اليد السوداء تلتقط انبوب النفخ! هل خاطرت فعلاً في عواقب هيجان غضب بدائي كهذا؟ لا عجب ان لويز قد اشار الى غبائها، يؤلمها ان تعرف بأنه يضعهافي درجة احترام منخفضة، خاصة عندما يتوجب عليها ان تعترف بأنه يجب عليها ان تلوم نفسها فقط.

«ريبيل...!».

ضرب باولوا على الباب، بينما نادى اسمها.

«هل استطيع الدخول؟».

«انتظر لحظة!».

قالت ذلك، وهي تعود الى افكارها، وضعت الصور داخل ظرف.

«حسناً، المكان آمن الآن لتدخله!».

بينما خطى داخل الغرفة المظلمة، استطاعت ريبيل ان تتبين بأنه كان مبتهجاً، لعدة ايام عاش في ظل التوبيخ الذي ينتظره، ان يتم طرده من العمل الذي يحبه، ويخلص له، لقد ابقاه لويز في حالة شك وارتياب، منذ وصوله الى البيت، امضى معظم اوقاته في مكتبه، وشعرت ريبيل بأنه لو اراد طرد باولو، لكان هذا اول شيء فعله منذ وصوله.

«لقد كنت اتكلم مع السنيور».

ابتسمت مرتاحة.

«كيف تدبرت الأمر؟».

اتكأ على طرف الطاولة، واطلق تنهيدة، كانت مزيج من الدهشة وعدم التصديق، ثم بدأ يتكلم ببطء.

«حسناً، لقد وجدته مفاجئاً لي بتعاطفه، بعد ان ظل عابساً لعدم إطاعة أوامره، غيَّر رأيه تماماً وبدأ يتكلم معي مثل عم هولندي، مدركاً ما انا أعانيه».

لهثت ريبيل تنهيدة ألم، تعرف تماماً بأنها هي من كان يشير إليها.

«في الماضي، كنت اعجب دائماً بقدرة السنيور في الفرض والحكم القوي، ولكن في هذه اللحظات...».

اكدَّ لها بصوت ووجه مضطرب.

«حكمه اصبح اكثر تعاطفاً وإدراكاً، ولقد اخبرته

ذلك!».

وقف على قدميه، وهو يقول بفخر.

«لقد اوضحت له، انه حتى في قيامي بمخاطرة فقدان عملي، فأنا لن استطيع الأصغاء دون الاعتراض على كلام خاطىء بشأن الفتاة التي انوي الزواج منها!».

كان عقل ريبيل منشغلاً، وهو يتمسك بالمعرفة التي تقول بأنها اصبحت في درجة أقل مما كانت بالنسبة للويز، وبعد لحظات قربها منه بقوة وعندما ادركت معنى كلماته قالت بجدية.

«لا، باولو ليس عليك ان...».

كانت تبعد فمها عن فمه.

«كيف تستطيع ان تقول هذا الشيء، انا لم اعطك أي سبب لتعتقد...» قالت ذلك، ثم ارتجفت وهي تتساءل ماذا يفكر بها لويز مانشنت الآن، كم سيصبح موقفه قاسياً من جراء فهمه بأنها قد خدعته.

- ٢٦ -

كان عليها ان تشعر بالإشفاق نحو الولد، الذي كانت تعابيره انعكاس لما تشعر به... الأذية، والاكتئاب الكلي.

«لقد اعتقدت...».

بدأ يتكلم، ثم تردد ولكنه عاد الى الكلام.

«بأنني قمت بمزيج من الأعمال، ألم افعل؟».

تقبل الوضع بحزن وأضاف «بينما كنتِ انت بعيدة في الأدغال، كنت قلقاً عليك بشدة، لقد ملأت افكاري كل دقيقة في ايامي، الى درجة بدا ان الاستنتاج المنطقي لذلك بأنك اصبحت فتاة هامة عندي الى درجة ان تصبحي زوجتي، انني احبك، ريبيل».

بدأ يرجوها بيأس.

«لم يبدو لي انك لن تحبينني في المقابل».

www.rewity.com مـــروريـــة

بعد مرور لحظات ألم عديدة، اخذت طريقها الى غرفة نومها.

عندما خطت فوق العتبة، وهي تبحث عن السكينة اصطدم بوجود والدها في الغرفة.

«ريبيل، يا عزيزتي».

قال ذلك، ثم انحنى باتجاه صندوق موضوع على رأس السرير.

«لقد احضرت لك هدية... وبعض الأخبار الجيدة».

«شكراً لك يا ابي».

بذلت جهداً لتبدو ممتنة.

«بما ان هناك العديد من الأخبار الجيدة، فسوف اسمعها الآن، ومن ثم افتح الهدية».

«كيف تستطيعين قول هذا!».

ارتفع حاجباه مضيفاً «لقد وصلت من رحلتك آمنة، مع صور موفقة، افضل كثيراً مما تخيلت، ومع ذلك ما زلت غير راضية، ما هو الطموح القادم الذي تريدين تحقيقه».

كانت على وشك ان تخبره الحقيقة، تخبره بأن التحدي في استكشاف اماكن مجهولة قد افقدها كل جاذبية، وبأن فكرة قضاء كامل حياتها تطوف مثل متشردة، لا تبقى في مكان واحد بما يكفي لغرس جذورها، قد جعلتها تشعر بأنها في حالة يأس كبير وحزن لا ينتهي. كانت تفكر في والدها، ولكنه كان سعيداً، مسرور جداً كونه وصل الى نهاية الكتاب، كانت ببساطة غير قادرة على احباط عزيمته.

«كما ذكر السنيور مانشنت ذات مرة، فأنا بائسة غير

ممتنة».

«لا... انتِ لست كذلك، انك تشعرين بحزن عابر، هذا كل شيء... ردة فعل طبيعية بعد رحلة مثيرة، لحسن الحظ، ان لدي المقوي الذي تحتاجينه».

وضع احد يديه في جيبه، وسحب رزمة جرائد، وأشار الى المقال بواسطة قلمه الرصاص.

«هل تذكرين الصور التي اخذتها لجبل كينابالو عندما كنا نعمل في بورنيو السنة الماضية؟ حسناً، واحدة من هذه الصور، صورة درامية قد ربحت جائزة افضل صورة لهذه السنة».

«حقاً...!».

تمنت ريبيل لو تستطيع ان تشاركه حماسه الفخور.

بدا غير منتبهاً لعدم اهتمامها، حيث تابع «لما كنا عرفنا بهذا الأمر، لو لم اطلب من باولو ان يبحث لي عن أي مجلة انكليزية تقع عليها يديه، حيث اضطر ان يطير الى عاصمة الأعمال، بالكاد استطيع تصديق عيناي عندما اقرأ المقال، صغير جداً ليلاحظه الإنسان، ان ذلك يجعلني فخوراً جداً، وممتن جداً حيث انني سألت باولو ان يشتري لي الهدية حتى قبل ان اعرف أمر نجاحك انه ثوب...».

قال ذلك وهو يشير الى العلبة على السرير.

«انك لم تظهري اهتمام كافي بمظهرك، يا عزيزتي، ربما لأنك حرمت من تأثير الأنثى وهي في مقتبل العمر، انه يسرني ان اراك جميلة كما تستحقين، لذا ارتدي الثوب هذا المساء حيث سيكون عشاءنا الوداعي، اذا كان علينا

ان نصل الى لندن لاستلام الجائزة في الوقت المناسب».

لم تزعج نفسها بفتح العلبة، إلا بعد وقت وطويل لذهاب والدها، ولكنها جلست ولمدة ساعات مصعوقة من فكرة بأن انجذابها للويز يجب ان تفصل بينه الأدغال والبحار، العشاء هذه الليلة ربما سيكون آخر وجبة يتشاركان في تناولها.

وبدون ان تدرك ما يحدث، امتلأت الغرفة بظلال ليلية.

كان لويز يحب تناول العشاء متأخراً، وقضت ريبيل وقتها بتحضير نفسها وغسل شعرها بالشامبو.

كان باولو قد اختار لها ثوب طويل ذو لون ازرق داكن، حدقت في المرآة، خجولة من مظهرها المتواضع.

وبعد حوالي نصف ساعة وضعت احمر شفاهها لتتفحص النتيجة النهائية، تحدق بأستغراب في المرآة وهي تشعر بالغرابة.

لقد رأت صور مشابهة لها في صفحات المجلات الشهيرة، اخذت طريقها مباشرة الى الصالة الصغيرة حيث الضيوف يتجمعون لتناول شراب ما قبل العشاء، كان في سهراتها دائماً حشد من العلماء حيث كانت تضيع بينهم، ولكن عندما خطت داخل الغرفة، بدت الغرفة خالية، ترددت متساءلة ما اذا كانت قد نزلت باكراً، أو ان الشراب يقدم في غرفة اخرى، كانت على وشك ان تستدير عائدة عندما التقطت اذناها همسة صوت حاد بقساوة، وجهت رأسها في اتجاه الصوت وبارتعاشة هلع لاحظت بأنه كان لويز، انيق على غير عادته في جاكيت السهرة وبنطال من

المخمل الأسود، حيث برز شعره الشيطاني الأسود.

للحظات بدت ابدية، حدقا في بعضهما البعض، حذرين ومتوترين كقطط الأدغال البرية، ثم وكأن لويز قد تذكر دوره كمضيف، اصبحت عيناه اللامعتين اكثر ليونة، بينما كان يعرض عليها قائلاً.

«هل استطيع تقديم شراب لكِ؟».

ومضت عيناها عندما رفع غطاء ليتناول اكواب الشراب.

«عصير الفواكه سيكون جيداً، شكراً لك».

قالت ذلك وهي تشعر بالخطر يكبر من حولها، مشى على الأرض وكأنه نمر في قفص، ثم ناولها الكوب ممتلىء حتى الشفة».

«انك تبدين جميلة جداً هذا المساء».

كان المديح غير متوقعاً الى درجة فاجأها.

«لا يجب عليك ان تتلفي ثوبك».

كان وجهه غامضاً بينما ارتشفت العصير وهي تحمل فوطة صغيرة.

«لقد اخبرتني سافيرا بأن باولو قد صرف وقت كثير في بحثه عما يشتريه لك، اعتقد سنيوريتا، بأن التهاني في موقعها؟».

بدا صوته بارداً كالجليد.

ادركت بأن والدها لا بد وأن يكون قد اخبره عن الجائزة، شعرت بوجنتيها تتوردان سلفاً.

«نعم ذلك صحيح».

حدقت في كأسها متسائلة لماذا عليه ان يكون متشدد

فيما يختص بنجاحها.

«هكذا تغير في الظروف مرتبط بتداخل عملك، لدي الانطباع بأنك مسافرة قد كرست حياتها لعملها، ولكن بالتأكيد بما انك قبلت بالمسؤوليات الجديدة، فأنك مجبرة على الاستقرار؟».

للحظات ارتبكت، ثم تذكرت واحدة من الفوائد المرتبطة بالجائزة... فرصة ان تصبح مدربة ومعلمة للتصوير لغيرها من الهواة.

«ربما يشعرني ذلك بأنني مقيدة في البداية... ولكنني سوف اتذكر الحقيقة بأن حريتي لن تكون مقيدة للأبد، بعد وقت قصير، سوف اكون قادرة على الاستمرار كما في السابق، ولكن مع معطيات اكثر».

هزَّ لويز رأسه الى الخلف.

«في الحقيقة سوف تفعلين، سنيوريتا ستورم، لقد قمتِ بواجباتك كما ينبغي... يوماً ما سيصبح باولو رجل غني جداً!».

بعد مرور عشر دقائق، اخذت ريبيل مقعدها على طاولة العشاء، عقلها المذهول ما زال يصارع لكي يستوعب فكرة بأنها ولويز قد وصلا الى نقطة حيث تتضارب مصالحهما.

تحملت ريبيل ان تبدو طبيعية وهي تتناول العشاء، ولكن خلف قناع التهذيب، كانت تسترجع كلماتهما معاً.

«ان ابنتك ليس لديها الكثير لتقوله لنفسها هذا المساء، بروفسور».

خدش صوت سافيرا سمع ريبيل حيث سمعت والدها

يجيب.

«انها ليست طفلة ذات كلام كثير... اذا ما كان من الممكن توظيف الكاميرا لوسيلة اتصال فسوف تجدينها محدثة لبقة».

«عليكِ ايضاً ان تسمحي للحقيقة بأن السنيوريتا لها عقل يزن كل شيء».

التقط الجمع انفاسهم، ثم تحطم الصمت من قبل باولو ووالدها.

«اعذر سهوي، سنيور... لم تسمح الفرصة لي لكي...».

«ممر الى الزواج».

قاطع والدها مضيفاً «يا صديقي، هذا ممر احب ان أرى ابنتي تعبره، ولكن لا اعرف... ليس هناك من دلائل تشير الى ان هكذا شيء ممكن ان يحصل».

ارادت ريبيل ان تهرب من الغرفة، مدركة ليد لويز القاسية تضغط على السكين التي بين يديه.

شعرت ريبيل بعد لحظات وقد خفت قبضته حول السكين عرفت انه كان يتعذب من جراء تذكره الأحداث التي غرست في عقله فكرة البرابرة، وبأنه كان يقارن افعاله مع وحوش الأدغال هؤلاء الذين يقبضون على كل فرصة تتيح لهم اصطياد ضحيتهم.

ارادت نظرته ان تصرخ بأن ذلك لا يهم، وبأن كل ما فعله قد ألغي بواسطة نظرته البيضاء التي دلت على رسالة ذنب.

نظرت سافيرا الى ريبيل ووجدتها توجه نظرة كراهية في اتجاهها وعندما لاحظت نظرات لويز قفزت قائلة.

«انتم الرجال مخادعين، انتم ترون البراءة حيث ترى المرأة الذنب، تبقون عميان فيما يختص بالحقيقة في النظر الى وجوهكم».

وضعت الكرسي جانباً الى درجة انها سقطت، وبدت وكأنها قد جنت لم يكن لديهم الوقت الكافي لتزول عنهم الدهشة قبل ان تستدير وهي تحمل ظرف كبير، لاحظته ريبيل على الفور.

خمنت نوايا سافيرا، حاولت ان تعترض، ولكن كان كل ما فعلته تنهيدة ألم.

«اذا كانت ابنتك البريئة سلسة فيما يختص بكاميراتها، بروفسور» قالت ذلك وهي ترمي بمجموعة صور على الطاولة.

«فما الرسالة التي تستطيع قولها فيما يختص بهذه الصور؟».

اغلقت ريبيل عينيها متجنبة النظر الى الصور، صور للويز وهو ضاحك، عابس، مبتهج، جدي، لويز يستلقي تحت ضوء الشمس، يسبح في البحيرة، ينظف بندقيته، لويز يقف بين اطفال صغار يمارسون رياضة كرة القدم، ودزينات اخرى من الصور اخذت للويز سرياً، لكي تحفظ في الذاكرة، امرأة تحتفظ بصور الرجل الذي تحبه.

شعرت فجأة بأنها غير قادرة على مواجهة نظرة لويز الحيرى.

نظرة سافيرا الساخرة، تبقي عينيها ممتنعة، تركت ريبيل مقعدها وركضت نحو الباب، عندما ضربت يدها بعقدة الباب، فتحته ثم فرت، تاركة تذكار وراءها في الغرفة الغارقة في صمتها الثقيل... صدى قلب محطم.

كانت ردة فعل ريبيل الأولى هي ان تهرب الى غرفتها، ولكن بينما كانت في منتصف القاعة، غيرت رأيها واتجهت الى اقرب مخرج، تشعر بجدران المنزل تعلق حولها كما السجن تماماً.

في الخارج، كانت سماء الليل تشتعل بالأضواء، حتى القرود بدت ساكنة على غير عادتها، بينما ركضت ريبيل في اتجاه الغابات، اذا ما توقفت لتدرك غباءها في الاتجاه نحو الغابة، ولكنها لم تهتم.

وبعد ان قطعت عدة ياردات داخل الغابة، وشعرت بأن تنورتها تتشابك مع الأغصان، حيث حاولت ان تحرر نفسها، ومن جراء ذلك ازدادت وقوعاً في شرك الأعشاب والجذوع.

«يبدو سنيوريتا، بأنني سوف اقضي حياتي، اخلصك دائماً من نتائج حماقتك».

سببت ردة فعلها العنيفة صرخة حطمت الصمت المحيط بالمكان بينما وجدت لويز يقف مارداً امامها، مسيطراً كما صياد تمكن من اصطياد وتدجين فريسته.

«اليس هناك حدود لغباءك؟».

قال ذلك وهو يمشي بوحشية ناحيتها.

«ألم تقتلي صبري بالذهاب وراءك دائماً الى داخل

الأدغال، لكي ابعدك عن غضب القبائل، ألم تفكري بالخطر الذي يحدق بك من جراء قضاء ليالي أخرى في الغابة، خاصة في ثوب شفاف كهذا حيث يظهرك وكأنك عارية؟».

انتزعها بعيداً عن قبضة الأعشاب، حيث خلع جاكيتته، ثم لفّها حول كتفيها.

«هل تشعرين بالدفء الآن؟».

سألها بينما كانت احد عضلات فمه تنقبض بوضوح.

«دافئة بما يكفي لتسمحي لي بأن احتجزك لفترة لكي تعطيني اجوبة على اسئلة اعتبرها هامة؟».

«نعم، لكن...».

«ليس هناك من لكن، اذا ما سمحتِ، فقط اريد اجوبة صادقة».

بدأت ترتعش ريبيل فجأة، ليس بسبب البرد، بل لأن دمها كان يجري بسرعة، وجسدها يشعر بحرارة الجاكيت، التي حملت دفء جسده، نطق لويز بلعنة عابرة ثم انزل يديه عن كتفيها، ليحتضنها في عناق يعبر عن رغبته في ان يرتاح، رغبة في ان يعبر عما به.

لم تستطع ان تر وجهه، ولكن كلماته بدت واضحة عندما اتهمها قائلاً.

«لماذا سمحت لي ان اعتقد بأنك تنوي الزواج من باولو؟».

«انا لم افعل».

قالت ذلك وهي تشعر بالاضطراب من جراء قربه

المثير.

«على الأقل... عندما اثرت انت الموضوع، اعتقدت بأنك تشير الى الجائزة».

«وأي عذر تستطيعين تقديمه لأغواءك الرصين».

تحداها بخطر وأضاف «لماذا حاولت بصعوبة ان تظهري صورة محبة العالم، لا بد انك عرفتِ انني اكره هذه الأساليب، لماذا؟».

شعرت بأنه عليها ان تخفي مشاعرها، ربما في المستقبل، هو وسافيرا سوف يتفقان.

وبكبرياء، رفعت رأسها لتحدق في العينان الرماديتان، كما غيوم العاصفة.

«ما الذي يجعلك تعتقد انني كنت ألعب، سنيور؟ استطيع ان اعذر لوالدي سوء ظنه احياناً، لم يخطر في بالي ابداً بأنك انت ايضاً كما والدي يمكن ان تخسر اوهامك».

«انك تفعلينها ثانية».

قال ذلك وهو يغرس يده في وسطها بقساوة.

«ان ذلك يثبت بأن نظريتي على حق، حيث انك قطة تبحث عن فريسة».

صارعت ريبيل بقوة محاولة تجنب قبلاته، والتي كانت وكأنها العقاب نفسه، ولكنه قربها من جسده بيدين فولاذيتين، ثم امسك برأسها مثبتاً اياه، بينما كان يعاقبها دون رحمة.

بدأت تشعر بقلبها يرقص فرحاً لقربها منه وهو يقبلها بنهم، وسمعته يهمهم.

«كوريدا... لم اتخيل ابداً بأن الحب يمكن ان يكون عذاباً، ألم من الشك وعدم الثقة».

اهتزت مشاعرها وكأنها مخدرة، وحاولت ان تتكلم قائلة.

«انا لا افهم... هل تحاول ان تجعل مني غبية، سنيور؟».

«لا، يا محبوبتي، انني لا افعل».

انكر ذلك بمزيج من الغضب والجدية.

«ولكن هل تستطيعين الشكوى ما اذا كنت افعل، منذ ان دخلت حياتي شعرت بها وقد تغيرت... لقد كان عليَّ ان اتعامل مع عواطف جديدة، لقد جعلتني مرتبكاً، متوحشاً، غاضباً، وخاصة في الأيام الأخيرة».

غطت الدموع الرؤية عنها، بينما حدقت الى الوجه الذي بدا منحوتاً من الماهوغوني، تعرف بأنها تجد من السهل ان تصدق بأنها تعيش في حلم، وليس حقيقة.

«قولي شيئاً يا عزيزتي».

شعرت بأن عواطفها لم تعد قادرة على الكبت، وقالت بعد قليل.

«كيف استطيع ان اصدقك عندما اظهرت لي قليل من الاحترام مثل رجال القبائل يظهرون لزوجاتهم؟ ايضاً...».

«لقد احسست انك امرأة خطيرة وبأنك سوف تؤثرين على

جسدي وقلبي وعقلي منذ ان رأيتك لأول مرة. وعندما لاحظت انسجامك مع باولو اعتقدت انني خسرت المرأة التي ولأول مرة اعجب بها بهذه السرعة ففكرت ان اعاملك بقسوة كي انتقم من اختيارك لباولو. ولكني على ما يبدو نجحت ولو بانتصار قليل».

«لم اكن منسجمة مع باولو بل كنت بادىء الأمر احاول ان استغله كي يقوم معي بدور الدليل حتى استطيع ان اجمع الصور وكل ما انا بحاجة له من اجل كتابي. ولكن عندما عرفت انه فتى ولا يعرف شيئاً عن الغابات ندمت وقد دفعت ثمن ندمي معك على ما اعتقد».

«هيا يا صغيرتي يبدو ان القدر ارسلك الي وهو يعلم اننا وجهان لجسد واحد».

«اوه لويز كم احبك».

«وانا ايضاً يا صغيرتي، سوف تعتادين على العيش هنا لأن حب المغامرات والأدغال ممزوج بدمك مثلي تماماً».

«اوه لويز... لويز».

ثم غابا في قبلة طويلة كافية لتعلن انهما زوجاً وزوجة.